ملف

53 سنة بعد مجزرة "ملوزة"

بني يلمان: بعد جريمة الإبادة.. جريمة الصمت

■ شهادة العجوز الطاوس بن زية نوكل عليكم ربي.. قولوا لبوتفليقة

53 سنة تمر على مجزرة بني يلمان الشنيعة، والحقيقة لم تقل بعد. الدولة الجزائرية والرئيس بوتفليقة وكل الجزائريين مطالبون اليوم برفع الغبن ومسح دموع عائلات الضحايا الوطنيين، ولا يجب أن تكتفي الدولة بإغاثة ضحايا زلزال بني يلمان الذي ضرب هذا الأسبوع، بل هي مطالبة قبل ذلك بالاعتراف بصفة الشهداء لضحايا جريمة 28 ماي 1957 وإعادة دفنهم كما تقتضيه الشريعة الإسلامية في مقبرة شهداء.. وإن كانت الجيولوجيا وعلوم الزلازل لا تعترف بالظلم والوطنية، فإنه لا يستبعد أن تكون جثث شهداء الجزائر وبني يلمان المردومة عشوائيا قرب مشتى قصبة سببا مباشرا في الهزات الأرضية الأخيرة التي لم تؤد سوى إلى مقتل عدد قليل جدا من الناس مقارنة بزلزال 28ماي ,1957.

محمدي السعيد قائد الولاية الثالثة يتبنى جريمة تتجاوزه

أطفال ضحايا المجزرة

■ منتصر أوبترون

مجزرة ملوزة جريمة بكل المعايير، وستبقى نقطة سوداء في تاريخ الثورة، المسؤول عنها هو سي الناصر، محمدي السعيد (قائد الولاية الثالثة آنذاك، بعد مغادرة كريم بلقاسم التراب الوطني مع أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، بعد استشهاد العربي بن مهيدي). هكذا أكد لنا السيد لخضر بن طوبال، في حوار أجري معه في أوت 1996 ونشر في يومية ''أوزيزون''، وأضاف رفيق الشهيد زيغود يوسف أن سي الناصر لم يحاكم على جريمته، لأنه كان محسوبا على كريم بلقاسم ولاعتبارات جهوية تم التغاضي عن هذه الجريمة.

اليوم، تمر 53 سنة على هذه الجريمة الشنعاء التي ذهب ضحيتها أكثر من 300 رجل، من 16 إلى 90 سنة، ببني يلمان، ليلة الثلاثاء إلى الأربعاء 29 ماي من العام 1957.

ورغم البعد الدولي الذي أخذته المجزرة، فإنه لم يكشف عن خباياها حتى اليوم، كونها مجزرة فرنسية، نفذت بأيادي كتيبة من جيش التحرير الوطني تابعة للولاية الثالثة، بقيادة النقيب أعراب، والملازم سحنوني، المدعو عبد القادر البريكي. وعلى عكس ما كتب هنا وهناك، فإن عميروش آيت حمودة بريء من جريمة ملوزة، حيث كان وقتها متواجدا بتونس، ومعه سي الحواس، اللذين استشهدا سنتين بعد جريمة ملوزة ببوسعادة.

في عددها الصادر في جوان 1957, كتبت جريدة ''المقاومة الجزائرية''، اللسان الناطق باسم جبهة التحرير، قبل أن تتحول إلى ''المجاهد'': إن كلمة مجزرة لا تصور الواقع كما هو، ولا يمكن لأية كلمة أخرى أن تصور ما جرى في تلك الليلة الرهيبة.. أكثر من ثلاثمائة رجل قتلوا، وذبحوا وأجهز عليهم بالفؤوس وآلات الحديد.. أكثر من ثلاثمائة رجل ارتفعت أرواحهم إلى السماء في أنهار من الدماء والأنات والآلام.. أكثر من ثلاثمائة رجل قضوا تحت نيران الديار الملتهبة، والمنازل المهدمة.. أكثر من ثلاثمائة رجل ماتوا على أبشع صورة يمكن أن يتصورها إنسان، لأن فرنسا أرادت ذلك ولأن فرنسا في حاجة إلى أن يموت أكثر من ثلاثمائة رجل لتخدم قضية مفلسة، وتنقذ سمعة منهارة، وتؤخر هزيمة محققة.. وتضيف الجريدة ذاتها: ''وكل هذه المجازر والتقتيلات والمذابح نسبتها سلطات فرنسا إلى جبهة التحرير الوطني، ونجد في كل هذه المجازر أن المصادر الرسمية الفرنسية تنقل إلينا أن الذين قاموا بتلك المذابح ذكروا في كل مرة أن جبهة التحرير هي التي أمرتهم بذلك القتل.. فأين هي الحقيقة من تلك التصريحات؟ وأين هو الواقع من هذه الشبه، وأين هو الحق من هذه الادّعاءات''.

ما ورد في الجريدة صحيح، لكنه أخفى عمدا أو كان يجهل أن الذين ارتكبوا الفعل المادي للجريمة هم جنود من الولاية الثالثة، ومعهم مدنيون من ملوزة والمناطق المجاورة.

وفي ندوة صحفية نظمتها جبهة التحرير بتونس بحضور الصحافة العالمية، أكد مسؤول الجبهة أن جيش التحرير بريء من هذه المجزرة، وطالب بلجنة تحقيق في أسرع وقت ممكن لتبيان الحقيقة، ولاحظ التناقضات في تقارير الصحف الفرنسية، التي تحدثت عن المواجهات بين جبهة التحرير والحركة الوطنية، التي كانت سبب المجزرة في هذه المنطقة، وقال ممثل الجبهة للصحافيين إن منطقة ملوزة كلها تابعة ولا توجد بها الحركة الوطنية، وأن مسؤولها العسكري اسمه ''عبد القادر عزيل''، المدعو ''سي العربي''، وقدم للصحافيين عسكري قائلا: ''أمامكم سي الحواس، عضو جيش التحرير، كافح تحت إمرة مصطفى بن بولعيد، وطلب منهم إعادة قراءة ما ورد في صحفية ''فرانسوار'' و''لوموند'' متناقضا. ورد سي الحواس على الصحافيين قائلا: ''إن ملوزة تقع 4 كيلومترات عن مركز عسكري فرنسي، وأن الدوار تحلق عليه طائرات استطلاع يوميا من الثامنة صباحا إلى منتصف النهار وثلاثين دقيقة، وأن معارك عديدة جرت في هذه المنطقة بين جيش التحرير والجيش الفرنسي.

وقال ممثل الأفالان في تلك الندوة الصحفية، المنعقدة يوم 3جوان 1957 بتونس، متسائلا: ''كيف يمكن لـ300 رجل من جيش التحرير الوصول إلى ملوزة على الساعة الثامنة والبقاء حتى اليوم الموالي دون إثارة انتباه الجيش الفرنسي المرابط في هذه المنطقة في حالة طوارئ، وهذا رغم إطلاق نيران الأسلحة الأوتوماتيكية وتصاعد الدخان في السماء كما وصفته يومية فرانسوا.

وفي الوقت نفسه، تناولت الصحافة العالمية مجزرة ملوزة، وأطلق رئيس الجمهورية الفرنسي ريني كوتي نداء إلى العالم المتحضر يطالبه فيه بالتنديد بالفظائع، مؤكدا أن الفرنسيين أبرياء من هذه المجزرة.

كما طالب محمد يزيد ـ أمام الضغط العالمي ـ الأمم المتحدة بإرسال لجنة تحقيق في مجزرة ملوزة، مؤكدا أن الجيش الفرنسي ارتكبها مباشرة. لكن السيد يزيد قبل وفاته أكد لنا أنه استعمل هذه المراوغة لحفظ ماء الوجه وحماية الثورة، وأنه كان يعلم وقتها أن فرنسا لن تقبل بلجنة تحقيق أممية، كونها ترفض تدويل القضية الجزائرية.

وأصدرت الجبهة في العاصمة منشورا تحمّل فيه فرنسا مجزرة ملوزة ببني يلمان ويهدد بالانتقام، ويقول يأسف سعدي أن عملية تفجير كازينو الكورنيش، بالجزائر، كان ردا على جريمة ملوزة.

من جهتها، نددت الحركة الوطنية الجزائرية وزعيمها مصالي الحاج بالمجزرة التي ارتكبها ـ كما قال ـ وطنيون مزعومون ضد إخوانهم، في بني يلمان، ونادى الشعب الجزائري إلى التنديد بها، والاتحاد في الكفاح من أجل تحقيق أهداف الاستقلال.

وفي تصريح أدلى به ممثل الحركة الوطنية الجزائرية في الولايات المتحدة الأمريكية، السيد بوحافة، ندد بفظاعة جريمة ملوزة، وندد بمحاولة رئيس الجمهورية الفرنسية ريني كوتي استثمارها لضرب مطامح وكفاح الشعب الجزائري. وقال بوحافة إن مجزرة ملوزة ارتكبها جزائريون ضد إخوانهم، وأكد باسم الحركة الوطنية أن هذه الجريمة لن تمس بشرف الشعب الجزائري، ولا بشرف جيش التحرير الوطني، الذي لم يساهم فيها، إن محاولة الرئيس الفرنسي ريني كوتي تلطيخ

سمعة قضيتنا معتمدا على تراجيديا ملوزة أمر مؤسف، إن جريمة ملوزة رغم فظاعتها لا يمكن أن تغسل فرنسا من قتل 30 ألف جزائري خلال السنة الماضية، وأن جريمة ملوزة جريمة ضد الجزائر، ضد الوطنية ومنافية للمبادئ الإسلامية والأهداف السياسية للشعب الجزائري، ولا يمكن أن تكون إلا من تنفيذ يد أجنبية في خدمة أيديولوجيا أجنبية تسير قوة انتهازية سياسية تعكر الكفاح من أجل الحرية.

الحقيقة أعقد من كل ما قيل، لأنه في عام 1962 كان هناك من جمع ما تبقى من نساء وأطفال بني يلمان للقضاء عليهم، كما تؤكده الشهادات، وكانت كارثة أخرى ستقع لولا تدخل رجال من جيش التحرير في المنطقة الثالثة لإنقاذهم.

11 شهيدا بطلا ضحوا بحياتهم رفضا للجريمة

كل شهادات الناجين من جريمة مشتى قصبة يؤكدون أن بعضا من جنود جيش التحرير الذين جاءوا مع البريكي وأعراب حاولوا إنقاذ المواطنين بإنذارهم، وأكثر من هذا، 11 جنديا قتلوا مع مواطني بني يلمان لأنهم رفضوا تطبيق الأوامر بالذبح أو إطلاق النار، رغم علمهم أن ذلك سيكلفهم حياتهم، وتم فعلا إعدامهم ودفنوا بزيهم العسكري مع ضحايا بني يلمان. هؤلاء الجنود الشجعان الوطنيون الحقيقيون تذكرهم عائلات الضحايا، الذين قاموا بدفنهم مع ذويهم بملابسهم. هؤلاء الشهداء الأبطال هم الرجال الصادقون الحقيقيون، يستحقون أن تكتب أسماؤهم بالذهب، وهم الممثلون الحقيقيون للثورة الجزائرية، والمشرفون الفعليون للثورة التحريرية والولاية التاريخية الثالثة.

كما أن واجب الذاكرة والحقيقة يفرض علينا البحث عن أسمائهم، خاصة وأن ملف مجزرة بني يلمان وحقائقها موجود في الأرشيف الفرنسي، حيث استولت القوات الفرنسية على ملف كامل به كل تقارير المجزرة، بعد قتلها عميروش وسي الحواس في 29 مارس 1959, وبشهادة الضابط مقران آيت مهدي أن ''أعراب كان واقفا وكان عميروش عندما يأتي يضربه بلكمة في البطن''.

وفعلا، فإن النقيب الفرنسي ''غامبيط'' لم يفلح في ترويض سكان بني يلمان، بعد أن نجح في تنظيم مجموعات مسلحة في المنطقة (دفاع ذاتي) في بني داود وبني هجرس وملوزة. ولأن سكان بني يلمان كانوا مع جيش الحركة الوطنية وجيش الأفالان، فإن الضابط دبر مع مسؤوليه مع المكتب الخامس المؤامرة، مثلما فعل بعده النقيب ''ليجي'' في الولاية نفسها. ولأن بني يلمان ومشتى قصبة كانتا منطقة إستراتيجية استعصت على الجيوش الفرنسية، بعد انفجار ثورة التحرير، وكانت قبلها مشتى قصبة المحصنة بالصخور مركزا لقيادة بومزراق المقراني (الشيخ المقراني)، خلال ثورة 1871 واتهام سكان بني يلمان بالعمالة المتواصل حتى اليوم كان في البداية اتهاما فرنسيا، لأن التقارير تؤكد أن مكتب الوالي العام لاكوست عندما نقل مجموعة من الصحافيين إلى مكان المجزرة، يومين بعد حدوثها، قال مسؤول الإعلام المدعو ''غورلان'' للصحافيين: ''لا تتكلموا عن المواجهات بين جبهة التحرير والحركة الوطنية، قولوا فقط إن أهل بني يلمان تم القضاء عليهم لأنهم أوفياء لفرنسا''.

وللأسف، لم تعتبر الجزائر إلى يومنا هذا ضحايا مجزرة ملوزة شهداء، ولم ينل ضحايا المجزرة حقوقهم حتى اليوم، وتبقى المسؤولية في عنق كل الجزائريين، حاكمين ومحكومين، وهم مطالبون بإيضاح الحقيقة ورفع الغبن والاعتذار لأهالي بني يلمان، قبل مطالبة فرنسا بالاعتذار عن جرائمها في الجزائر، بما فيها جريمة ملوزة.

وفي تصريح لمحمدي السعيد للقناة الفرنسية الثانية في شريط وثائقي بعنوان: ''السنوات الجزائرية''، أكد المرحوم محمدي السعيد أن أهل ملوزة خونة، وأنه هو المسؤول عن المجزرة التي أدت حسب زعمه إلى مقتل حوالي 40.

ويتضح جليا وبسهولة فائقة للعارفين بقضايا الثورة والتاريخ أن القائد السابق للولاية الثالثة تبنى بافتخار قضية تفوته، ولا يعرف شيئا عن تفاصيلها، رغم أنه كان قائدا للولاية، وربما عدم تحكمه في الأمور التي كانت تتجاوزه هو ما جعل كريم بلقاسم يستدعيه إلى تونس ويعوضه بعميروش آيت حمودة.

وحتى عندما عيّن محمدي السعيد على رأس قيادة أركان الشرق، اتهم كل من بن طوبال وبوصوف، كريم بلقاسم، أنه كافأه (أي محمدي السعيد) على مجزرة ملوزة.■

للأسف، لم تعتبر الجزائر إلى يومنا هذا ضحايا مجزرة ملوزة شهداء، ولم ينل ضحايا المجزرة حقوقهم حتى اليوم، وتبقى المسؤولية في عنق كل الجزائريين، حاكمين ومحكومين، وهم مطالبون بإيضاح الحقيقة ورفع الغبن والاعتذار لأهالي بني يلمان، قبل مطالبة فرنسا بالاعتذار عن جرائمها في الجزائر، بما فيها جريمة ملوزة..

شهادة العجوز "الناوية مناد"

قولوا لبوتفليقة: دوّارنا شهيد ولسنا خونة

كنا نطعم جنود جيش الجبهة، ونطعم جنود جيش مصالي. وعندما يأتينا العساكر الفرنسيون، كنت أخفي الرسائل بين شعري وأتعصب عليها، رسائل رجال الاتصالات من المجاهدين. لقد كانت فرنسا تحرق و"تبط" المزاود وتقتل وتأخذ الرجال، وابني هذا أسماه المجاهدون "نصر الدين" عندما ولد، وقد منحوني وثائق وقالوا لي: "عندما تستقل الجزائر ستأخذين حقك". أخفيت تلك الرسائل بين الشعير خوفا من دوريات فرنسا، لكنها تلفت بفعل الماء. والآن، أنا أمامكم كما ترون حالي، أفترش الكتان.

نساء من بني يلمان أيام المجزرة

في مسجد "الصديق"، كان هناك شباب مذبوحون، من بينهم شبان مجندين مع مصالي، وقد أحرقوا أرجلهم، "آه يا وليدي ما صار فينا" (تئن)، يا ولدي ما نظنهم جزائريين.. دفنا الضحايا بـ"شلايقهم" (بثيابهم)، هناك آخرون أخرجناهم من الجبانة، وفتحنا القبور لنواريهم بها، كان ذلك في الجبانة القديمة، ثم ردمنا الآخرين. في تلك الأثناء، جاء الفرنسيون يا وليدي.. "هذا ما ناخذ من الدنيا" (مشيرة إلى شبر من الأرض)..

بعدها، 28 ماي 1957, أتانا الجيش، لم نعرف من يكون، جيوش على الأرض وطائرة تحلق من فوق، قالوا لنا: "لكم الأمان".. "لكم الأمان".. "سنجتمع مثل العادة"، غير أنهم قتلوهم يا وليدي، قتلوهم في المدينة (مشتى القصبة)، لم يتركوا شيخا أو مجنونا، أخذوا شبابا وشيوخا وقتلوهم، وبقينا نحن والأطفال. هذه الثورة.. أعطيناها كل ما نملك، حتى الدجاجات والبيض بعناها لندفع قيمة الاشتراك، تبرعنا بالفضة، بالشياه، للجيوش، وعندما جاءوا، كانت الطائرة تحلق من فوق وهم على الأرض (تقصد يوم المجزرة وتتنهد).

قبل ذلك (ماي 1956) جيء المدافع، الطنك، فدمرت المدينة، "الطنك حط في مهنا"، وأحرق الجيش الفرنسي ديار بيت هروش، وهدم ديارنا، وديار بيت عزوز (أولاد عزوز) وهدموا أيضا ديار ضي بن عكوش.. "طيحت يا وليدي فرنسا طيحت".. وعندما يأتينا الجيش الفرنسي، كنا نرتجف، لأنهم - في كل مرة - يحرقون المكان ويأخذون الرجال، كنا - كلما جاء جيش فرنسا - نخبئ الكسكسي واللحم في المطامير، وإذا ما قصدنا المجاهدون إلى الوادي المالح، كنا نعمل على مسح آثارهم بالسدرة، كنا نخفي كل أثر لـ(الجرة) خوفا من قدوم الفرنسيين. "جرى فينا الباطل يا وليدي". ونحن لم نستقل حتى اليوم، كل الجزائر استقلت إلا دوارنا، لم يستقل بعد، لم يستقل ونحن شهداء (تنهيدة..) كم خبزنا، وعجنّا، واحترقنا، و"اتبطينا".. لماذا لا حق لنا الآن؟ "وحدة زوجة شهيد ووحدة ترفد الوقيد"، لماذا؟ لماذا؟ كل هذه الأيادي قد احترقت من الخَبز والعَجن في عملية "مهنا"، كنا نحمل المجاهدين الجرحى وننقلهم إلى خلوة بجبل خراط، وكان لوصيف بن سعيد يعالجهم، يجبر كسورهم، إيه.. سي بن سعيد رحمه الله.. كنا نحضر لهم الشخشوخة ونطهو لهم الأكل حتى يتعافوا، كنا نطعم المجاهدين ونغسل القشاشب، لقد أطعمناهم وسقيناهم. وعندما استقلت الجزائر، لم نستقل نحن، لم نظفر بشيء، لا من الجيش ولا من فرنسا، لم نربح استقلالنا.

لقد جاءوا في مثل هذا الشهر، كان الجو حارا، جاؤوا وقت الفجر، عندما كان البعض يتوجه إلى عمله في الحصاد، والآخرون كانوا في بيوتهم، إنهم "جنود"، قصدونا وقالوا لنا: "لكم الأمان"، ثم جمعوا الرجال وأخذوهم إلى مشتى قصبة، وهناك قتلوهم، لم يستثنوا الراعي ولا الخماس ولا الشاب ولا الشيخ ولا المجنون، لقد كان الرجال متعودين على الاجتماعات، وكانوا يأخذون معهم النقود لدفع الاشتراكات، كانوا يفعلون ذلك خفية عن أعين الفرنسيين، وكان (الڤاوري) الفرنسي عندما يهجم جيشه على الدوار يقول: "كلهم فلاڤة" Tous Fellagas.

لكن يومها، كانت الطائرة ترصد وتضرب، لقد قصفت تاقوست وقتلت الناس والحيوان، وفي المساء، أي وقت المغرب، كنت في الشرشارة، فسمعت البارود في المدينة (مشتى قصبة)، وفي الصباح، عندما صعدنا، وجدناهم موتى مذبوحين وجثثهم متراكمة فوق بعضها، بعضهم جيء به من المقطع، والبعض الآخر جيء به من المداشر الأخرى، لقد أعملوا فيهم السكاكين والرصاص.

وجدنا جنودا في "باب السور"، لقد قتلوهم هم أيضا لأنهم رفضوا أن يشاركوا في المذبحة، هناك جندي مدفون رفقة "دادا محمد" بثيابه، وجثث خمسة آخرين أو ستة موجودة بباب السور، وقد رميوا بالرصاص، لأنهم قالوا: "لقد أكلنا عندهم وشربنا، لذلك سوف لن نقتلهم". دفناهم بثيابهم. يومها، قصفت الطائرة بن سعيد بن مسعاي، وقتلت أيضا امرأة وثلاثة أطفال، وكذلك الماشية في تاقوست، وقتل سي حمدي في السانية، وولد سعيد بن قويسم ذبح في القبر، أما في مسجد "الجمعة"، فقد وجدت أبي مذبوحا، دادا محمد أيضا مذبوحا، وكان كل من بورحلة وبوڤروة مقيدين وموتى على باب المسجد.

في مسجد "الصديق"، كان هناك شباب مذبوحون، من بينهم شبان مجندين مع مصالي، وقد أحرقوا أرجلهم، "آه يا وليدي ما صار فينا" (تئن)، يا ولدي ما نظنهم جزائريين.. دفنا الضحايا بـ"شلايقهم" (بثيابهم)، هناك آخرون أخرجناهم من الجبانة، وفتحنا القبور لنواريهم بها، كان ذلك في الجبانة القديمة، ثم ردمنا الآخرين. في تلك الأثناء، جاء الفرنسيون يا وليدي.. "هذا ما ناخذ من الدنيا" (مشيرة إلى شبر من الأرض).

أنا أظن أن فرنسا هي التي قتلتنا (تنهيدة قطعها أحد الأبناء مشيرا إلى سحنوني المدعو البريكي): جاء السحنوني على ظهر "كيدارة" (أي الحصان) من جهة ضي بن هروس، لقد أحرقوا ديار ضي الهروس وولاد سياح، قبل مذبحة مشتى قصبة، في ذلك الوقت كنت صغيرة، وكنت أخبئ الرسائل داخل شعري، كنت أذهب إلى المدينة، أقمنا الحراسة، وكان المجاهدون يزوّدوننا برسائل.

كنا في المَديَر، كنا نسكن في بوملوك، لطالما مشينا ليلا لنحمل الرسائل ونعطي المجاهدين الاشتراكات، ولنقدم إليهم الأكل.. كنا فقراء، نبيع دجاجنا وبيضنا لندفع الاشتراك. وفي معركة مهنا (معركة جبل بوخدي)، نقلنا المجاهدين "المكاسير" (المجروحين)، ومنذ يوم مهنا أيضا، جاءت الطائرات والطنك لقتلنا، و"الرب ما قدرهاش"، كان الفرنسيون كلما حلوا بالمكان أحرقوه، "قطعوا" القرية، و"بطوا" الرجال، وأخذوهم إلى السجن، كنا نخشى فرنسا، لذلك كنا نخفي بعناية جرة (آثار) المجاهدين، من جيوش جبهة التحرير والحركة الوطنية، أنا أعتقد أن المذبحة قام بها فرنسيون أيضا، أي أنها كانت "مخلطة".

بعد المجزرة، جاءنا فرنسيون، وحطت طائرات بدوارنا، وجلبوا معهم أشخاصا من 88 دولة للتفرج على الأمر، وجاءت معهم السيدة قارة، لم يبق في الدوار غير النساء والأطفال، أعطونا القليل من الدقيق وبضعة فرنكات، وحطت السيدة قارة رحلها في الكومينال، دوارنا مات يا وليدي، واش صار فينا؟ وبعد سنوات من الاستقلال جمعونا وقطعوا عنا تلك الفرنكات.

رجائي يا ولدي هو أن يصلحوا لنا هذا الجيل على الأقل، أما جيلنا فقد ذهب، أتمنى أن تستقل فعلا الجزائر، وأن يتمتع هؤلاء الشباب بذلك، أما نحن فقد قلنا: "الله". أنا كما ترى أعيش في كوخ (حويطة)، وأكثرية العجائز عانت وماتت، ولم يبق إلا القليل، لو أنهم يعملون على إصلاح الجيل القادم فستصلح الجزائر، ربي يستركم، أما نحن يا وليدي، فقد فاتنا الزمن، وكبرنا..

كنت أيامها صغيرة، وقد تعذبت كثيرا، هذا الابن كان في بطني، وعندما ولد تركته في "الخنجة"، تخليت عنه، وقصدت الشرشارة، وهناك قلت لخالي أحمد: "لم أستطع حمل خمسة أطفال"، وعندما عدت إليه في اليوم الموالي، وجدت أنه مازال على قيد الحياة، أخذته وهربت به إلى الكدية.

عندما التقيت لخضر بن هلال، الذي ذبح ثم نجا بأعجوبة من الموت، وضعنا بعض الحليب في فمه فخرج من رقبته، أردت أن أركب الطائرة لأهرب، فرجالنا ماتوا ولم يبق منهم أحد، لكن بن عباس والطيب بن طقيع وبوزيد أنزلوني وخاصموني.

ضي بن هروس قتل في بيته، الصديق بن يحيى أيضا قتل في بيته، لقد أحرقوا منازلهم فيما بعد، وكذا ديار علي مناد - عائلتي - أحرقوها وديار ولاد عزوز هدمتها فرنسا في معركة مهنا، وفي الأخير، لم تعطنا الجزائر أي حق (سكوت متبوع بتنهيدة). والآن، لم يظهر لنا شيء من هنا أو من هناك.. لقد قصفتنا الطائرة وقتلت منا، أنا أعتقد أن الجيش كان مختلطا، هكذا أظن، لم يبق لي من العيش الكثير، لذلك أقول - أمام الله - أن "الدعوى كانت مخلطة" (تقصد أن العملية كانت منسقة بين مهاجمين جزائريين وجنود فرنسيين)، الضحايا ماتوا - المساكين - أما نحن فقد كبرنا، ما يحز في قلبي حقا هو الرجال الذين ماتوا، لقد ترملت شابة على عدد من الأولاد، ظللت هائمة بهم، كنت قبل ذلك محجبة لا أعرف الطرقات ولا الأسواق، وقد أصبحت بعدها أدخل السوق وأتسكع، وعلى ظهري خمسة أطفال..

هل أسامحهم؟.. عليهم فقط أن يصلحوا أمر البلاد، وأن يصلحوا شؤون الشباب والتاريخ، ويعترفوا بنا شهداء، لكل منطقة شهداؤها، أما شهداؤنا فلم يظهروا، شهداؤنا لا يزالون في الزبالة؟ لماذا؟ "وعلاه؟ وكّلوا شرّبو كافحوا"؟ لماذا ليس منا شهداء الآن؟

إذا أردتم أن تنالوا دعاء خير من المغبونات وهؤلاء الأرامل و"الهجالات"، فأظهروا تاريخنا، وشهداءنا، أما إذا بقوا في المزابل، فلا حق لنا.

أنا (بتحسر) لو كنت أعرف بوتفليقة هذا لقلت له: يا وليدي أخرج شهداءنا، لكنني لا أعرفه، أنا أرملة شهيد، ونحن ننام على الأرض كما ترى، لم يعطونا حقنا، وعندما نودع ملفات، لا نتلقى أي شيء، فقط يقولون عنا "خبثاء"، رغم أننا جاهدنا و"بطتنا" فرنسا وأحرقتنا.. لماذا لسنا شهداء؟ إننا نحن الشهداء الأحرار، ودوّارنا هو الدوار الشهيد، فوق الدواوير الأخرى. ذات مرة، جاء أحدهم يخطب فينا، فقلت له: ألم ترَ موقعة مهنا؟ ألم ترَ المدينة وهي تتهدم تحت مدافع الجيش الفرنسي؟؟ إنها معركة وقعت في بوخدي (ماي 1956)، واليوم.. لقد سلبوا منا حتى موتنا، أخذوا منا "ساحة الشهداء"، مع أننا نحن الشهداء الأحرار (تئن).

وقتها، لم تكن لدينا آلات تصوير ولا صحافة توثق، وهؤلاء الذين ماتوا دفناهم في الشعاب، والمجاهدون كانوا يختبئون عندنا، يأكلون ويشربون (والله وبيت ربي، في ذلك الوادي الرسائل جبتها في راسي، صنعوا شهداء وقالوا عنا خبثاء)، لقد مات رجالنا، ولو كان عندنا من يصور، لكنا نحن الآن الشهداء الأحرار.. يعيّرون أبناءنا ويقولون لنا في الاجتماعات: "نحن أبناء الشهداء"، وعندما أشاهد الاجتماعات، أتحسر وأقول: "عند ربي، يظهر الحق"، ولو كنت أعرف بوتفليقة لحدثته، لعله يعطيني خَبَر، لا أعرف، ربما أنا مجنونة، لكني أعتقد أن العملية كانت بتنفيذ مزدوج، لقد جاءت فرنسا بعد المجزرة وقالت لنا: "سنأخذكم إلى فرنسا"؟ يا للسخرية، لقد كانت "تبطنا" (أي تقتلنا)، ثم تأتي بعدها وتقول لنا إنها ستأخذنا..

كنا نسكن الجبال وليس لنا من يصوّر الوقائع، لم تكن لدينا صحافة، المجاهدون سلموني وثائق، وعندما ولد نصر الدين سماه المجاهدون بهذا الاسم، فقد أعطاه أحد المجاهدين اسمه، وسلمني ورقة بها نجمة وهلال، وقالوا لي إنه بإمكاني أن أستعين بها في الاستقلال، وعندما شعرت بقدوم الفرنسيين إلى الدوار، خبأت الوثيقة تحت التراب، وقد أتلفتها الأمطار.

لم يأتنا أحد، بعد الاستقلال، جمعونا في الكومينال وانتزعوا منا الفرنكات التي كنا نأخذها شهريا، رفعنا الأعلام في الكومينال بعد الاستقلال - كنت يومها أما لثلاثة بنات - وجمعوا الأطفال (جمعهم المدعو عدنان)، وكانوا عازمين على قتلنا تلك الليلة، لكننا هربنا، لقد كان ذلك أشبه بما يحدث في فلسطين الآن، لكني رغم ذلك أحمد الله فقد استقلت الجزائر، وذهب الكفرة، وارتحنا منهم".■

شهادة العجوز الطاوس بن زية

نوكل عليكم ربي.. قولوا لبوتفليقة

عام ونصف والمجاهدون والمجاريح (الجرحى) يستقبلون في دار بن زية لخضر، الدجاج لهم، والبيض والحليب نعطيهم إياهما حتى يستعيدوا عافيتهم، وكان بن زية يقف وسط الساحة ويقول: "تبيعون الحطب وتدفعون الاشتراك"، ويوم وقعت المجزرة يا ولدي، مات معهم ولم ينج.

كنا في الدوار، والجيوش تأتينا: جيش مصالي يأتينا من جهة وجيش الجبهة من جهة أخرى، والجيشان يأكلان عندنا، فهؤلاء يقولون لنا: ''أعطونا الاشتراك''، وجيش مصالي يطلب الاشتراك أيضا.. والله ثم والله لقد كنا نأكل النخالة، أما الدقيق، فكنا نحتفظ به كي نصنع لهم الكسرة والكسكسي، وعندما ''وقعت الموت'' يا وليدي كما ترى، إني جالسة أفترش الكتان وحالتي سيئة، عيناي كما ترى أصيبتا بالعمى، وركبتاي تعبتا، وبقينا في ''القاع'' على الحائط.

الثورة.. هؤلاء يأتون كلما حل شهر جديد، (تقصد جيش الحركة الوطنية،) يقولون: ''أعطونا الأموال''، وهؤلاء (جيش جبهة التحرير) يأتون ويقولون: ''أعطونا''.. ويوم انفجر البارود لم ينصفنا أحد.

مذبحة مشتى قصبة

انفجرت في 28 ماي 1957 وقبلها بأسابيع قليلة، نشبت معركة بين جبهة التحرير والحركة الوطنية في أعالي واد تاحمامت.

في صباح 28 ماي، جاء جيش جبهة التحرير، دفعوا الأبواب، وصاح أحدهم: ''أخرجوا ولكم الأمان'' (وليدي راه يسالني سيدي ربي يوم نمسى وحدي)، قال لهم: ''أخرجوا، ولكم الأمان، أمان الرسول، لا تخافوا فلسنا نبحث عن الشعب، بل عن بلونيس''، فنطقت قائلة: ''وهل نخفي بلونيس هنا في صندوق ما بالبيت؟''.. بعدها، قال لخضر بلطرش: ''إذا ذهبتم فسيخرجن''، فرد أحدهم: ''عليكم الأمان، عليكم دم النبي''، ثم ساقوهم.

أطلقنا وقتها المال (الغنم)، وخرجنا إلى الجبل نتابع، كانت طائرة تتبعهم، بقينا ننتظر، والمحنة في قلوبنا، بقينا ننتظر متى يعود أزواجنا، متى يعود أبناؤنا، متى يرجع آباؤنا، يا أخي عليك الأمان.. والد زوجي كان في الديار في أعلى الدوار، عندما وصلوا إليه، لاقاهم بالكسرة وإناء الحليب، وقال لهم: ''نلاقيكم بالملح''، جاءوا به عندنا ثم أخذوه عندهم (تتنهد) عندما أتذكر يا وليدي أمورا عن الثورة، أفقد صبري..

قادوهم إلى فوق (المدينة: مشتى قصبة)، بقينا ننتظر متى يعودون، حل الظلام وطال انتظارنا، في الصباح، جاءت نساء نادبات خدودهن، قلن: ''لقد قضوا عليهم''.. إنهم حوالى 400, قتلوهم.. فيهم الراعي والمعاق والجندي.. نزلنا إلى تاقوست يوم ''الموت''، وجدنا العطاطلة والمهارسية في ''باب الصور''، وجدنا علي بن دحمان في باب العرايس (مدخل مشتى قصبة)، قال لنا أهربوا، لقد جاءت الجبهة، وستقضي عليكم وتلحقكم بالموتى، هربنا إلى تاقوست، ثم عدنا إلى شرشارة وعجوط، وقلنا نصعد مع من تبقى من الرجال في الصباح، وإذا كتب علينا الموت، فليكن.

اليوم يا وليدي قد أتيتم ودخلتم على حين غرة، أنظروا إلى قطع الكتان التي أفترشها وأتغطى بها، قلت لعائلات الضحايا أن نكتب لرئيسنا، فقد سال دمنا، نكتب لرئيس الجمهورية عسى أن يحدث شيء، وهذا الكلام أرجوكم (حطوه قدام الرايس) أوصلوه إلى رئيس الجمهورية، و(نوكل عليكم الله والقصبة التي رأيتموها أن تضعوه أمام الرئيس)..

صعد الرجال، واستفحلنا بهم، وعندما وصلنا إلى باب المدينة يا وليدي ودخلنا (تئن أنينا طويلا وتبكي)، وجدنا الحاج سعيد، قويدر بن عمارة، محند سعداوي ورعاته، رعاة الحاج سعيد المساكين، أولاد أحمد، حتى الرعاة ماتوا معهم يا ولدي، ودخلنا.

لخضر بن هلال (أحد الناجين) وجدته أنا مع سعيد بن حضرة رحمه الله في دار قويسم، لخضر بن هلال كان متوسدا سورا، ربطت إحدى النساء رأسه بمنديل، سألته: ''من أنت''؟ قال: ''فلان، حشمتكم بالله اسقوني شربة ماء''، أعطينا الجرحى ماء، كان ما يندلق إلى الأرض أكثر من الذي يتمكن من المرور في حلوقهم..

نطلب من الدولة أن تنظر في حقنا وحق هؤلاء الناس الذين ماتوا في ''باطل ربي'' (الراعي، المهبول، الخماس، الفقير..)، أن تنظر في حق الجميع وفي حقنا، وتخلصهم علينا هذا ''الشي'' الذي يجعل أيا منا يمشي ذليلا، عندما نقول إننا من الدوار الفلاني، يبادر الجميع إلى القول إننا ''حركى'' (تصمت).. لو كانوا فعلا حركى، فلماذا يموتون وكيف؟ يا ولدي بفضل الدولة وفضل سيدي ربي وبفضل الشهداء الذين يمشون أبدا على الحق، أن يعطوا هؤلاء الناس حقهم، ويزيلوا عنا هذا ''الوسخ'' المسلط علينا، إننا نطلب من دولتنا أن تنظر إلينا. لقد استقلت الجزائر، فظننا أن دولتنا ستتذكرنا، أو تسأل عنا، أو تمسح دموعنا، وأن لا نبقى في هذه الحال إلى يومنا هذا، لكن يا وليدي كنا مردومين، وكل من نقول له أعطنا وثيقة لنشتكي يقول لنا: ''لن تقضوا شيئا''، هذا ما نشكوه إلى الدولة في الجزائر (الجزائر لينا وليست للقياد). يا وليدي لا أحد يعطينا الآن ورقة (كاغط) ولا أي مجرد كلام؟ لماذا نبقى بدون حق 53 سنة؟ نبكي لدولتنا ونشتكي ولا نبقى حتى اليوم، لم يزرنا أحد، ولم يطل علينا أحد، جمعوا لنا جميع الدول بعد المجزرة، ثم أعطونا فرنكات نعيش بها مدة 4 سنوات، وغداة الاستقلال انتزعوها منا، قلنا إن دولتنا تتذكرنا وتعيننا، كيف لا يحن علينا أبناء جنسنا الجزائريون؟ لكن في الاستقلال قالوا لنا: ''اذهبوا ليسجلوكم''.. ومن يومها قطعوا عنا منحة الإغاثة (قصوا لنا الركايب ورمونا)؟

غداة الاستقلال جمعونا في دار الحاج دحمان (جمعهم جنود لخضر حاج علي، ضابط، وجعجع عبد القادر)، من يومها بقينا لسيدي ربي، ها أنت ترى حالنا، إذا أرادت دولتنا أن ترد إلينا حقنا وتنتبه إلينا وتنزع عنا الوسخ، فنحن نقول دوما إن دولتنا لا تقتلنا، يجب أن تنتبه لنا وتزيح عنا الظلم، إننا في ظلم ولسنا في عز''.

اليوم يا وليدي قد أتيتم ودخلتم على حين غرة، أنظروا إلى قطع الكتان التي أفترشها وأتغطى بها، قلت لعائلات الضحايا أن نكتب لرئيسنا، فقد سال دمنا، نكتب لرئيس الجمهورية عسى أن يحدث شيء، وهذا الكلام أرجوكم (حطوه قدام الرايس) أوصلوه إلى رئيس الجمهورية، و(نوكل عليكم الله والقصبة التي رأيتموها أن تضعوه أمام الرئيس) هذي 47 عاما عندما دخلوا قالوا عليكم الأمان، لو كانت عندنا دولة، لما بني مقام الشهيد في تلك الكدية، بل كان من المفروض أن يبنى في المدينة (مشتى قصبة).■

شهادة عمر الطفل ابن السابعة

الطفل عمر بن عمر بن مصطفى ديقش، كان عمره 7 سنوات عندما شاهد فاجعة بني يلمان، كان يسكن وعائلته بالمدينة (مشتى قصبة) التي حول جنود محمدي السعيد بيوتها في 28 ماي 1957 إلى مسالخ بشرية، شهادته تؤكد فظاعة التنكيل بجثث الضحايا والطابع الهمجي للجريمة.

''كنا في 28 ماي 1957 في مشتى قصبة، ومازلت أحتفظ بالصورة حتى اليوم، خرج يومها الشعب إلى الطحطاحة، وعندما سمعنا صوت طلقات البارود من كل جهة افترقنا، كل منا ذهب في اتجاه. وعند منتصف النهار، ساقوا المواطنين (الغاشي) أمامهم، وكان الحاج سعيد يصيح وينادي: ''تعالوا، سيقرأون علينا خطابا''، فذهبنا معهم بعد نداء الحاج سعيد، فتحنا البيوت، وجلست عند خالي في منزله، والجنود واقفون أمام الباب، طلب مني خالي أن أقدم الكسرة والحليب للجنود.

وعندما جلبت لهم الكسرة، شاهدت في الخارج جنودا يشحذون السكاكين، ورأيت الشعب مجتمعا عند مسجد الصديق، فجاءهم شخصان يحملان قفة، وراحوا يجمعون فيها الساعات وحافظات النقود ومختلف الأغراض. قال لي خالي: ''ضع حافظة النقود في القفة''. وعندما اقترب وقت المغرب، سُمع صوت إطلاق نار، نظرت من النافذة فرأيت رجلا يحترق، خرجت مسرعا فلقيت رجلين يلبسان برانس، حملني أحدهما وقتها، ورأيت رجلا يصيح، كان يجري ويصيح، وما زال كلامه يرن في أذني حتى اليوم، إنه علي بن رزايق، كان يصيح: ''يا خاوتي وعلاش واش درنا؟''، (لماذا يا إخوتي؟ ماذا فعلنا؟) وأطلق عليه أحدهم النار. وبعدها، أتوا بأخويّ: محمد المولود عام 1917 والمسعود المولود عام 1928,. جاءوا بهم مكبلين. وعندما علِق مسعود بالباب، دفعه جندي بقوة، وقال له: ''امش يا خبيث''. في البداية، طلبوا التفاوض مع مجموعات مكونة في كل مرة من 5 أفراد، يخرجونها تباعا لذبح أفرادها، وعندما هرب الحاج هني، هجموا على البيوت وأطلقوا النار على المواطنين الفارين من مسجد الجمع، وتم ذبح الباقين.

دامت المجزرة أكثر من ساعة، وتم التأكد من موت الضحايا باستعمال النار، وحوالي الساعة التاسعة ليلا، انتهى كل شيء، أخرجوني، وقضيت الليل عند عجوز في الحرشوشية، لم تكن المسكينة تعلم أن زوجها قتل أيضا، في الصباح، استيقظت فرأيت النسوة قادمات، وجدنا 4 جثث على السور، ثم انطلقنا إلى بيت محمود.. كانت الجثث مبعثرة، وفي وسطها جثة الشيخ عمر، 60 عاما، رأسه مهشمة بشاقور، والباقي كل مات بطريقة ما، ثم دخلت مسجد الجمعة، فرأيت الشعب مذبوحا، وعندما عدت إلى البيت وجدت بابه موصدا بـ4 جثث، كانت إحداها مطوية الرجل.

الطفل علي ديقش لا يستطيع أن ينسى صور مذبحة مشتى قصبة، فقد يومها 10 من أفراد عائلته، من بينهم أخواه محمد ومسعود وأخواله المعروفون بلقب قويسم.■

شهادة المجاهد

كان ''عبد الوهاب بن عبد الوهاب'' بفرنسا في نانتير، عندما وقعت مجزرة بني يلمان، وسمع بها هناك في الجرائد، فسارع بالعودة إلى مسقط رأسه يوم 31 ماي ليجد مشتى قصبة ـ وإن تم دفن الضحايا ـ بركة من الدماء الجافة تحت أشعة الشمس الحارة، ورائحة الجثث المتعفنة تعبق المكان، والموت يخيم على المنطقة كالسحاب..

المذبحة لم يتوقعها عبد الوهاب الذي عمل في صفوف الفدائيين المصاليين، قبل أن يتجند في جبهة التحرير، التي عينته مسؤولا على تامازرت وعجوط، ثم الشرشارة، وهو من مواليد بني يلمان، هاجر إلى فرنسا عام 1953, ثم عاد بعد 14 شهرا عندما حل جيش الحركة الوطنية في خريف 1955 بالمنطقة، ليصبح مناضلا معه، وشارك كمسؤول عن اللوجيستيك والعمليات العسكرية، وبعد أن غادرت مجموعة الحركة الوطنية MNA جاء جيش جبهة التحرير، وقام عبد الوهاب بإطعامهم، وطلب منه مسؤول الجبهة مواصلة مهامه في الجبهة كما كان يفعل مع الحركة الوطنية، وطلب منه قائد الجبهة رابح الفرطاس وسي نصر الدين (محافظ سياسي ملازم) وسي البشير، وسي رابح بلحو، الثايري (من أولاد ثاير)، محند بن عبد القادر (شهيد) وعمر ميرة (الملازم محمود) أن يواصل تماما كما كان ينشط مع الحركة الوطنية.

ونظرا لنشاط عبد الوهاب ومعرفته بالمنطقة، فقد عمل فيها بشكل نال به إعجاب وصداقة سي نصر الدين، الذي طلب منه أن يرافقه إلى سيدي إبراهيم لتجنيد الناس وجلبهم إلى جبهة التحرير. يقول عبد الوهاب في سيدي إبراهيم: ''جاء رايح الثايري على فرس، فطرده سي نصر الدين، فذهب هذا الأخير إلى أولاد داغن، وفي الوقت نفسه عادت مجموعة الحركة

معركة بوخدي قرب مشتى قصبة ماي 1956

معركة بوخدي المعروفة عند بني يلمان بـ''ضربة مهنا''، تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر بشرية معتبرة، معركة قامت بها فرقة من جيش الحركة الوطنيةMNA . وبعد المعركة، ضربت المدافع الفرنسية والطائرات مجموع دواوير بني يلمان وقصفت مدينة مشتى قصبة انتقاما من المواطنين، ووضع الكولونيل ''آرغو'' OUD-ARG جثث شهداء سقطوا في المعركة فوق سقف حافلة، وعرضهم في ملوزة والمسيلة، بهدف نشر الرعب.

معركة بوخدي شارك فيها عبد الوهاب، والشهداء الذين سقطوا في تلك المعركة تم عرضهم في ساحة المسيلة، أين بصق عليهم أحد اليهود، ما أدى إلى قتله في تلك الليلة، وفرار يهود المسيلة في تلك الليلة أيضا.

يقول عبد الوهاب: كنت يومها في المدينة مشتى قصبة، وكنا نحرس لصالح الجيش، فكلما قدم إلينا قدمنا إليه الطعام وراقبنا الطريق وأعالي الجبال، جاء جيش الحركة الوطنية يوم الثلاثاء، وكان يوم سوق، وعندما كان اليهودي موريس ''مكاس'' السوق، من المسيلة، حاصره المجاهدون المتنكرون بزي البرانس، وعندما أعطاهم اليهودي وثيقة تثبت أنه دفع للفدائيين بالمسيلة، قالوا له: إذن، سوف لن نقتلك، ولكن لا مكس بعد الآن''، فذهب اليهودي إلى الحاكم شاكيا، وأتى العسكر الفرنسي.

عندما رأينا الجيوش آتية، تسبقها 4 سيارات جيب وطنك، انطلقت مكبرات الصوت المعلقة في السيارات تنادي في المواطنين بمواصلة نشاطهم في السوق وعدم الخوف من الفلاقة: ''لا تخافوا منهم''.. وكان بلونيس موجودا، وطلب من عبد القادر الوهراني، قائد جيشه، أن يهاجم سيارات الجيب.

يقول عبد الوهاب: ''لأني ابن المنطقة، فقد ذهبت مع عبد القادر لأدله على مكان للتمترس نضرب منه، وعندما حط في المكان المدعو ''ثنايا بن طقاع''، طلب منا أن ننصرف، ثم وزع أفراد الجيش وسط حقل قمح، ناصبا كمينا للسيارات العسكرية المارة، في انتظار عودتها، لكن جيوشا فرنسية إضافية غير متوقعة قدمت من المسيلة، وعند عودة سيارات الجيب، فتح عليهم عبد القادر النار، واستولى زملاؤه على المدفع الرشاش، وقضوا على الجميع، ثم اشتبكوا مع المدد الذي جاء من المسيلة، وشارك في المعركة محمد الوهراني، وعندما هرب المدعو عمر عبر الوادي، لبس قبعة الملازم الفرنسي الذي قتل في السيارة، وعندما لاحقه الفرنسيون، قصفتهم الطائرة خطأً، ظنا منها أنه ضابط فرنسي يلاحقه الفلاقة، وأكد عبد الوهاب أن ما يقارب 75 عسكريا فرنسيا قتلوا في معركة بوخدي، وهو رقم واقعي إذا نظرنا إلى التخطيط، وكذا رد الفعل الفرنسي من بعد، والكولونيل الفرنسي نفسه.

عندما هرب المدعو عمر عبر الوادي، لبس قبعة الملازم الفرنسي الذي قتل في السيارة، وعندما لاحقه الفرنسيون، قصفتهم الطائرة خطأً، ظنا منها أنه ضابط فرنسي يلاحقه الفلاقة، وأكد عبد الوهاب أن ما يقارب 75 عسكريا فرنسيا قتلوا في معركة بوخدي..

بعد تلك المعركة، انسحبت فرنسا من المنطقة حوالي 4 أشهر، وكانت الطائرات تحلق. وبعدها، عادت مجموعات مصالي وجبهة التحرير تتقاتل فيما بينها، قلنا لهم: ''ابتعدوا عنا وتقاتلوا''، وفعلا، بعد أن أكل الجيشان عندنا، اشتبكا مجددا في واد الغلام، يومها قال لي سي ناصر: ''إذهب إلى فرنسا، إذهب يا سي عبد الوهاب لئلا تموت هباء''.. قالها لي سي نصر الدين، يقال إنه من العلمة، درس بتونس، ذهبت إلى فرنسا، لأعود على وقع الفاجعة..

لقد قتل في مشتى قصبة أبوه وعمه وأخوه، وبقيت النساء وحدهن في الخيام.■

شريط المجزرة في ذاكرة الشيخ بن زية

بن زية دحمان، من مواليد ,1934. مريض، متعب، وفقير، يلبس قشابية تحمل رقعا عديدة، تنبعث من عينيه صيحة نجدة ويأس. دحمان بن زية انتهكت حقوقه ودمرت أملاكه، شارك بماله وجهده في تحرير البلاد من الاستعمار، دمر الطيران الفرنسي بيته وقتل امرأة في 28 ماي 1957, ونجا بأعجوبة في مشتى قصبة، في اليوم نفسه بفعل تراكم الجثث في المدينة العتيقة فوقه، كتب رسالة لسلطات البلاد يشكو فيها وضع الغبن الذي يثقل على عائلته، مطالبا بالانتباه إلى حاله ومساعدته، باعتباره ضحية حرب، وبحكم أن الرجل كان أثناء الثورة مسبلا وفقد كل شيء تحت القمع الاستعماري.

مذبحة بني يلمان نجا منها بن زية بأعجوبة، ومات فيها أهله، يومها ـ كما يقول ـ أخذونا ونحن نتهيأ لحصاد الشعير، كانت الساعة السابعة صباحا، جمعونا في الحقل ثم جاءت الطائرة وضربت يومها بيته فهدمته، ثم ساقونا ـ يضيف بن زية ـ إلى مشتى قصبة: ''كنت داخل غرفة مع 12 مواطنا، فبدأوا يطلقون النار علينا عند المغرب، لبثت تحت الجثث ولم أتحرك حتى منتصف الليل، أي بعد أن انسحبوا.. عدت إلى بيتي فوجدت الناس يبكون، رويت لهم ما حدث وبدأنا الدفن يومين بعد المجزرة، عندما جاءت فرنسا بقيت الجثث ملقاة تنبعث منها رائحة التعفن، لقد فقدت في تلك المجزرة والدي''.

عاش دحمان بن زية يرعى للناس، وكانت فرنسا تساعد الناجين من عائلته بمنحة من معاش، ومنذ الاستقلال، يقول: ''قصوا علينا كلشي''.

بن زية لا يزال تائها حتى اليوم، يبحث عن تفسير لما حدث له ويحدث له ولأهله، صحته العقلية تبدو على ما يرام، ومازال مقتنعا حتى اليوم أن المجزرة من فعل الاستعمار الفرنسي، والرسالة التي مازال يبعث بها إلى الدولة ـ باعتباره كان مسبلا يطلب الاعتراف بحقه ـ تلخص حالته المادية والنفسية.■

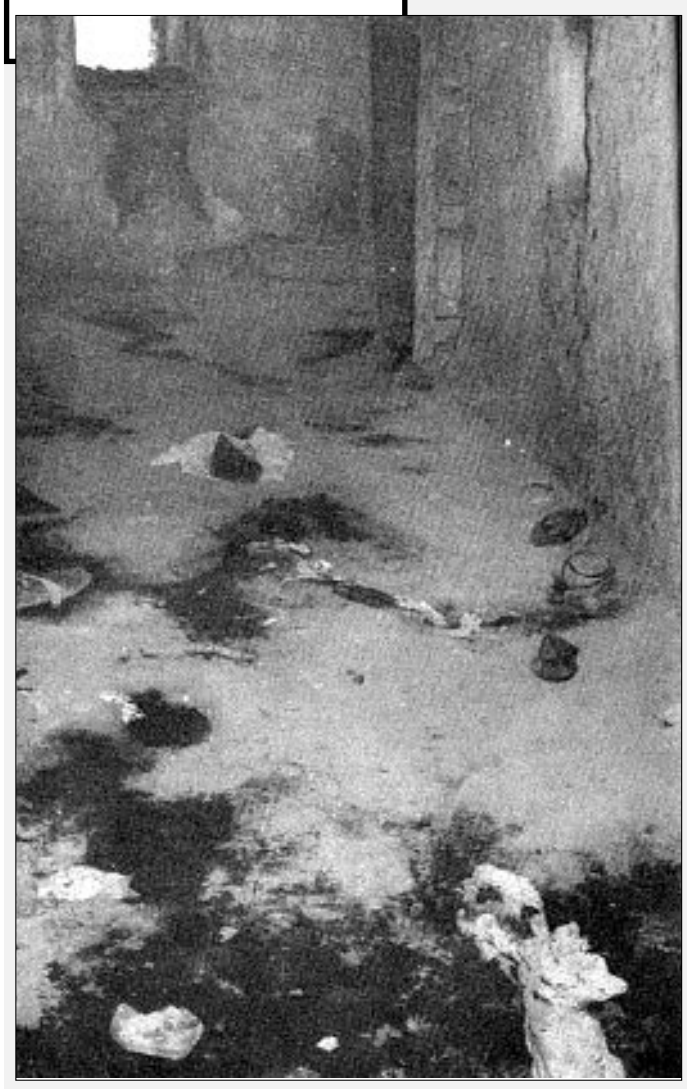

عبد الوهاب

الوطنية. وقبل المجزرة بشهرين، سأل سي نصر الدين عبد الوهاب عن عدد أطفاله، ثم أعطاه ورقة وقال له: ''نحن أعطينا عهدا ويبدو أن الأمور مخدوعة''، لقد طلب مسؤول جبهة التحرير سي ناصر من عبد الوهاب أن يفر إلى فرنسا، وقد حدث ذلك فعلا، وهناك قرأ في الصحافة يوم 30 ماي خبر الفاجعة.

يقول عبد الوهاب: عدنا يوم 31 ماي فوجدنا النساء وحدهن، وقد جمعتهن فرنسا في خيام. وصلنا في الليل وحدنا، فوجدنا في انتظارنا بالبرج كولونيل، وآخرين جاؤوا في زي عسكري، كانوا حوالي 150 وقلوبهم مليئة بالغضب والحقد أمام لاإنسانية المجزرة وبشاعتها.

في عام 1958, بينما كان ينتقل بين المراكز بائعا للشعير والصوف، وجد أن تلك المراكز تحت حماية مجموعات من الحركى المسلحين، بعضهم كان يتعامل مع جبهة التحرير، حيث التقى في الطريق بطفل يحمل خبزا إلى المجاهدين، فقال له والد الطفل، وهو مسؤول حركى سيدي عيسى (معمر قبرين): ''من هنا أبعث الخبز، ومن هنا الشاطر'' (البندقية)، وعندما أوقفت كتيبة في عام 1958 عبد الوهاب، في الطريق، تعرّف عليه جندي، كان عبد الوهاب قد ساعده في الهروب أثناء عملية تمشيط. وعندما قدم عبد الوهاب نقودا لملازم جبهة التحرير كاشتراك، قال له هذا الأخير: ''لقد منع علينا النظام المشي على تراب بني يلمان، لقد قتلهم النقيب أعراب والبريكي، أعداء الله''..

وعندما ألح عبد الوهاب، مذكرا ضابط جيش التحرير أنه كان يجمع اشتراكات للجبهة، وأنه كان مسؤولا، تركه الضابط يعود بحقيبة جلدية بها نقود، وأعطاه حوالي 30 ألف فرنك، وسأله عن عدد النساء والأطفال الذين هم تحت رعايته، وقائلا له: ''أعط اليتامى هذا''.■

عيسى خباشة يؤلمه النكران

الذاكرة مازالت حية عند السيد عيسى خباشة، رغم سنه الذي تجاوز 88 سنة، شارك في الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي كمناضل في الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية بالمهجر (بفرنسا)، وحمل السلاح ضد الجيش الفرنسي في منطقة بني يلمان في صفوف الحركة الوطنية (الجيش المصالي)، ثم في صفوف جبهة التحرير الوطني، عندما وصلت هذه الأخيرة إلى المنطقة، التي أصبح مسؤولا فيها عن الفدائيين.

تحمسه للنضال ضد الاستعمار من أجل انعتاق الجزائريين لم يكن وليد نوفمبر 1954, فقد شارك قبلها في مظاهرات 14 جويلية 1953, إلى جانب إخوانه في باريس حاملين العلم الوطني، تلك المظاهرات التي قمعتها قوات البوليس وقتلت فيها 7 جزائريين.

بعد انطلاق العمل المسلح في الجزائر في الفاتح من نوفمبر 1954, غادر عيسى خباشة فيدرالية حركة انتصار الحريات الديمقراطية بفرنسا، ليعود إلى الجزائر ويساهم في المجهود الحربي في منطقة بني يلمان. في البداية، وجد خباشة في ولايته بعض الخلايا المسلحة من الحركة الوطنية MNA. وفي أوت 1955 يقول خباشة: ''جاءنا إلى بني يلمان جيش يقوده المدعو سي إبراهيم، بقي عندنا أياما، وكان مصحوبا بـ20 شخصا، من ونوغة، يرتدون الزي العسكري، ثم اتجه بعدها إلى ولاد تسلم (تاقديت)''.

في الأشهر الأولى من عام 1956, شارك المجاهد عيسى في معركة مع الجيش الفرنسي في الطاقية (ماجينو)، المعركة حدثت بعد منع مجموعة من الفدائيين نصب السوق يوم ثلاثاء، هرب القياد وجاءت القوات الفرنسية التي اشتبك معها الفدائيون في الطاقية. بعد انسحاب جنود الحركة الوطنية وقائدهم سي إبراهيم، جاء جيش جبهة التحرير الوطني، يذكر منهم نصر الدين ورابح الفرطاس والعربي من آقبو، وأصبح عيسى خباشة مسؤولا عن الفدائيين، ويكافح الوجود الفرنسي في صفوف الجبهة كما كان يفعل في صفوف الحركة الوطنية.

في 28 ماي 1957, يقول عيسى خباشة: ''عندما جاء البريكي إلى منطقتنا، هرب''، فقد في جريمة مشتى قصبة 3 أعمام وأقارب، بعد الكارثة عاد إلى فرنسا، ويقول: ''منذ أن ماتوا، لم يأتنا أحد بعد الاستقلال، لم يتصل بنا أحد''. ثيابه رثة، وكله أنفة، رغم سنه يحتفظ بوثائق، منها وصل اشتراك عليه طابع الحكومة المؤقتة الجزائرية.

اتصل بمناضلين عرفهم أثناء الثورة، منهم سي محمود من بجاية، عبد الرحمن ضابط شرطة بالحراش.. بعد الاستقلال يصر خباشة: ''لم يتصل بنا لا الأفالان ولا الأمانا، لم يأتوا''، يضيف خباشة وعيناه توحيان بصعوبة المعيشة وشظفها والتهميش والفقر، لكن عزة نفسه منعته من الكلام عن معاناته، ومعاناة ذويه، مكتفيا بتقديم وثيقة اشتراك في الجبهة ومعلقا: ''لم يزرنا أحد، لا الأفالان ولا الأمانا''. ■

معضلة (بني يلمان).. توضيحات وتعقيبات

قد بَدَت البَغضَاءُ مِن أفواهِهِم ومَا تخفي صُدورُهُم أكثر

كنت قد كتبت مقالا في جريدة (الخبر الأسبوعي) المحترمة في الآونة الأخيرة بعنوان: القول الفصل في معضلة (بني يلمان) كرد على هجمة شرسة استهدفني بها حاقد (بني يلمان). ونشر المقال في ثلاث حلقات أو في ثلاثة أجزاء، هو عبارة عن خلاصة لقضية (بني يلمان). حيث أحصيت في الموضوع كل شيء عددا، مع الإشارة إلى أن كل ما قلته حول القضية هو معروف من تاريخ الثورة بالضرورة في الجهة.

■ عبدالعزيز وعلي

يبدو أن مقالي المذكور أصاب الوتر الحسّاس من الحاقد المذكور وجعله يفقد صوابه وتوازنه، فهاج وثار وارتفعت حرارته إلى درجة الغليان، حيث عاد من جديد إلى هذيانه وهرائه وتقيّؤاته واجتراراته، واستهدافه لي بالتجريح والتقبيح و"التقطيع" والطعن... وقد فكرت مليًا فقلت في نفسي: لا أرد عليه. عملا بقول الشاعر (إذا نطق السفيه فلا تجبه. فخير من إجابته السكوت). لكن عدلت عن ذلك في الأخير وارتأيت أن أرد لظني أننا إذا سكتنا عن هذا (المسيلمة الكذاب) وتركناه يصول ويجول وحده في الميدان. فإنه يتشجّع على المضي قدما في ترهاته وحربه على الثورة وتاريخها وشهدائها ومجاهديها ومنظماتهم الوطنية، بل و"يستأسد" وينتحل صورة تلك الإسفنجة المجنونة التي أقسمت لتشربنّ البحر.. بل أرد عليه من أجل رفع الالتباس والغموض عن بعض الجوانب من هذه القضية. أقول وفي كل ذلك خدمة "جليلة لتاريخ ثورة التحرير بالجهة". وإليكم إذن هذه التوضيحات والتعقيبات في الموضوع.

لكن قبل الدخول في صلبه أود أن أقدم لكم ثلاث ملاحظات كتمهيد:

1- إن هذا (المخربش الخانق) لا يرفق كتاباته بصورة شمسية كما جرت العادة لدى الصحفيين وكتّاب المقالات، لا سيما إذا كان الموضوع "ساخنا" فإنهم يرفقون مقالاتهم بصورهم الشمسية ليتعرف عليهم القراء. بالإضافة إلى التعرف على أفكارهم ونظرياتهم في مختلف المجالات. وهنا يبدو لي أن هذا (المخربش) لا يثق في نفسه ولا في يطرحه من أفكار زرنيخية جهوية في كتاباته، مما جعله يتستر ويخفي صورته على القراء. ربما كان ذلك بسبب عاهة في خلقه أو علة قادحة في خُلقه (بضم الخاء) وفي سيرته وسلوكاته. نعم ويعتبر ذلك منه تسترا في غير موضعه. وضربا بالخُمُر على جيبه. مع أن الآية القرآنية الواردة في الموضوع تنص على أن المأمور بإسدال الستار على الوجه هم النساء. وذلك في قوله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) اللهم إلا إذا كانت هناك قراءة شاذة اكتشفها وعثر عليها (مخربشنا) المتستر.. تقرأ هكذا بالتذكير: وليضربوا بخمرهم على جيوبهم.

اللهم لا. وأنت القائل: (وما يبدل القول لدي). وهكذا إذن ينشر (البني يلماني) المتستر خربشاته عبر بعض صحفنا الوطنية بدون إرفاقها بصورته الشمسية تخفيا وتلثما. حيث يرى هو صورنا ولا نرى نحن صورته، وعندئذ تنطبق عليه الآية القرآنية (إن يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) والضمير في (إنه) يعود إلى إبليس عليه اللعنة.

وبعد. ألا يمكن لنا نحن أن نطلق على صاحبنا (البني يلماني) المتستر اسم: المخربش الملثم.

2 - إن خربشة هذا الرجل المقنع حول قضية (بني يلمان) الهرمة ليست في صالح عرشه، بل هي أضر على العرش من العقوبة الجماعية التي نفذت ضدهم في ماي 1957, لكونها تشبه إدخال حديدة حادة في جرح لتوسيعه وتعميقه للحيلولة دون التئامه، وكيف لا، والحال أنه من شأنها أن تشوه سمعة الأهالي بالجهة وتشهّر بهم وتفضحهم وتعريهم وتذكر الجيل بكون سلفهم قد انخرطوا وتجندوا في صفوف الخائن والعميل (بلونيس) لمحاربة الثورة التحريرية، وبالتالي فإن هذه الخربشة من شأنها أيضا تكوين عقد نفسية في شباب الجهة ما يجعلهم يكرهون الثورة ورجالها وشهداءها بل وتاريخ الجزائر ككل.

ومهما يكن فإنني لا أظن أن (الجعجع) يتأتى له أن يؤثر بخرجاته الزرنيخية التي ينشرها عبر بعض الصحف الوطنية في شباب الجهة، لأن الشباب ـ والحمد لله ـ في الآونة الأخيرة، واع وملتزم وغيور على بلده رغم الداء والأعداء، ورغم معاناته الشديدة من البطالة والعزوبة والفقر وغير ذلك. وهذه حادثة تؤكد لكم ذلك بما يتمثل فيما يلي:

ومعلوم أن عهد التعددية السياسية قد بدأ بعد أحداث 5 أكتوبر 88، حيث ما كادت الدولة تفتح المجال لذلك حتى سارع الطموحون وكل من هبّ ودبّ من السياسيين إلى تقديم طلبات الاعتماد لأحزابهم... ومنهم طبعا (بقايا التيار) المعروف بعدائه للثورة.. وفور ذلك اتفق أقطاب هذا (التيار) على القيام بزيارة مقبرة (بني يلمان) (لهدف غير سليم) كتمهيد لنشاطهم الرسمي في الميدان. وبالفعل فقد تقاطروا على نقطة ما متفق عليها سابقا وكوّنوا طابورا طويلا، أو قل قافلة طويلة من السيارات (السياحية والنفعية) وانطلق الجميع نحو الجهة للوقوف أمام (حائط المبكى) للتباكي ولعن الثورة.. وسب الشهداء والمجاهدين الأموات منهم والمرزقين، واستفزاز أهالي الناحية بأكلها. ولكن ما كادت هذه القافلة تصل إلى مشارف الجهة حتى وقعت المعجزة؟ ووقع في الميدان ما لم يكن في الحسبان. حيث واجهتهم الطير الأبابيل ترميهم بحجارة من سجيل. ولا أقول إنها الطير الأبابيل التي هاجمت جيش (أبرهة) في مكة المكرمة قبيل المولد النبوي. لأنهم جاءوا لهدم الكعبة. ولكنهم غلمان مراهقون ظهروا فجأة وفي كل مكان على حواف الطريق على امتداد طوله بدون مقدمات. كأن الأرض انشقت عنهم فبرزوا وبدأوا برميهم وقذفهم وصب وابل من الحجارة الحادة والثقيلة عليهم. فكسروا زجاج سياراتهم وأصابوا من فيها بالجراحات وكثرت بينهم الإصابات وأصاب الجميع الرعب والفزع والذعر والهلع، مما جعل الكثير منهم يخرجون من سياراتهم للهرولة، راجلين للنجاة بجلودهم، وتفرّق شملهم وأخذوا يهرولون ذات اليمين وذات الشمال تائهين، إذ منهم من وجد نفسه بعد حين في حمّام الضلعة، ومنهم من وجد نفسه في سيدي عيسى أو في ترمونت، ومنهم من تمكن من الوصول راجلا إلى المهير.

ثم بعد ذلك كثرت التأويلات والتفسيرات لهذه الظاهرة الغامضة من أهالي الجهة، تلاحظ فيها البراءة والعفوية والسذاجة... إذ منهم من قال:

إن هؤلاء الغلمان هم جنّ مسلمون انشقت عنهم الأرض فخرجوا لتأديب هؤلاء الحاقدين. ومنهم من قال إنهم ملائكة أرسلهم الله لمحاربة هؤلاء المستفزين، كما أرسلهم لتأييد ومؤازرة النبي (ص) وصحابته في غزوة الأحزاب ضد أولئك المشركين. ومنهم من رأى أن هؤلاء الغلمان ما هم في الحقيقة إلا أرواح الشهداء تجسدوا في صورة غلمان لتوجيه ضربة قاسية لهؤلاء العملاء الذين يريدون إهانتهم وهم في أعلى عليين، بينما يرى البعض أنهم أولياء الله الصالحون خرجوا من أضرحتهم وقبهم لمواجهة هؤلاء المغرضين الذين يريدون إيقاظ الفتنة في الجهة لترويع الأهالي الآمنين.

ولا ريب أن صاحبنا (المقنع) يكون متواجدا داخل إحدى تلك السيارات المحطمة لأنه لا يقبل أن تفوته هذه المناسبة (الذهبية) لزيارة الموقع لإشباع غريزته العدوانية، وربما كان ينوي أن يندب في المكان ويستغيث ويصرخ.. "وابلونيساه"؟!

ومهما يكن فإن شعب الناحية ما زال لم يجد تفسيرا مقنعا لظاهرة أولئك الغلمان الذين برزوا بجموع غفيرة إلى الميدان فجأة واختفوا كذلك فجأة، أي بدون مقدمات وتهيدات.. والله في خلقه شؤون.

3 - إن حاقد (بني يلمان) نراه دائما يرفق خربشته بصور لمجموعة من الضحايا المتمددين على الأرض تهويلا وتشنيعا وترويجا لضحايا عرشه. والحال أن تلك الصور تعود إلى ضحايا مجازر 8 ماي 1945 بخراطة وسطيف وقالمة وغيرها، وهي موجودة فعلا في وثائق تلك المجازر الرهيبة التي نفذها الجيش الفرنسي الهمجي بالجهة في تلك السنة، حيث بلغ عدد أولئك الضحايا (45 ألفا). ويستطيع أي واحد من القراء أن يعثر عليها ويجدها في كتب تاريخ الجزائر الحديثة في المكتبات، وهكذا إذن أخذها صاحبنا (البني يلماني) وسطا عليها ونسبها إلى عرشه كذبا وزورا ونفاقا.. والحال أنه سيان ما بين الميدانين وضحايا الجهتين.. وبعد ألا يباح لنا أن نطلق على هذا الرجل اسم (اللص الملثم) أو (النشال المقنع).. والجواب - طبعا - لا لأننا لم نسمع أنه سرق منزلا أو سطا على ما في دكان من الدكاكين، وكل ما في الأمر أنه أخذ صورة خاصة بحادثة تاريخية ونسبها إلى عرشه، ربما سلمها له أحد أصدقائه أو وجدها عند بعض تلامذته أو عثر عليها في الطريق، ما يجعلنا نعتبر ذلك (شبهة) وفي الحديث (ادرأوا الحدود بالشبهات).

ولننتقل الآن إلى صلب الموضوع قائلين إن خربشة هذا الرجل هي عبارة عن هجمة شرسة على نظام الثورة ورجالها وشهدائها، مع مجموعة من التساؤلات الساذجة التافهة والتعليقات السطحية الحاقدة هذا هو مضمون خربشة الرجل (المقنع).

إنه نفس المضمون الذي يجتر مصطلحاته ويتقيؤها منذ سنوات، وإلا فماذا ننتظر من الرجل أن يقوله. أجل. هذا الرجل الذي يبدو أنه أثر فيه العامل الوراثي فكان شرّ خلف لشر سلف. وقديما قيل (من يشابه أباه فما ظلم) حيث يكتب بأسلوب يغلب عليه جانب الوقاحة والسفالة والجهالة والنذالة والتطفل والتقوّل والتحامل والتطاول والكذب والافتراء وزرع الريب والشبهات والتعالي (إلى الأسفل) والغرور وإدانة الأحياء والأموات.. وما إلى ذلك من المصطلحات بمطوفاتها ومرادفاتها ما يؤهله عن جدارة واستحقاق إلى دخول كتاب (غينيس) للأرقام القياسية في هذا الميدان، وإلا هل يجهل أحد استعمال هؤلاء لبعض التعابير ذات اللسعات المسمومة مثل مصطلح (قبائل الشمال ذبحوا عرب الجنوب) إنها نفس النغمة التي كان (صوت البلاد) آنذاك يذيعها ويروج لها. إنها سياسة (فرّق تسد) التي حولت الجهة إلى جحيم وإلى تربة خصبة لتكاثر فيروس الخبث والخيانة. وهل هناك أحد يجهل تلك الأحداث الدامية الخطيرة التي نفذها العنصري المجرم (شريف بن السعدي) في ضواحي (عين بوسيف) سنة 1957 والتي أودت بحياة (علي ملاح) ونائبه عبد الرحمان جوادي وأكثر من 30 مجاهدا، وذنبهم الوحيد هو أنهم ينتمون إلى القبائل.

■ مصطلح (قبائل الشمال ذبحوا عرب الجنوب) من أخطر اللسعات المسمومة

■ بلونيس ورجاله هربوا من بني يلمان بلباس النساء خوفا من الضابط معمر محمود

وفور ذلك التحق ذلك العنصري المجرم بصفوف العدو أين قلدوه رتبة (عقيد) ويقود حوالي 800 شخص من مرتادي القشابيات، ولكن مهما حاول هؤلاء اللاعبون بالنار أن يخلطوا الأوراق ويجرّدوها من النقاط، فلا يتأتى لهم الوصول إلى هدفهم التخريبي، لأن الجزائر هي الكل لا يتجزأ وأن الثورة هي الوحدة الموحدة التي لا تقبل التقسيم، اسمعوا إذن لما يقولون في الموضوع: حاولنا محو هذه الجريمة العنصرية / لسنا نطالب بمحاكمة أفراد كانوا منذ سنين في صفوف الثورة ويحققون للاستعمار ما عجز عنه / ولا نقبل أن ندفع كرامتنا من أجل تغطية أشخاص ممن تلقوا أوسمة الجهاد على حساب الضحايا الشهداء الحقيقيين / هل كان (بني يلمان) متعاونين مع نظام المصاليين، كما يحاول القتلة إيجاد مبرر لجريمتهم / وصلت الطائرات الفرنسية التي ظلت تحلق على رؤوس هؤلاء دون أن توجه رصاصة واحدة تجاه جيش التحرير المزعوم / راحوا ضحية الثقة في جيش ادعى أنه جيش التحرير / هؤلاء الزرق الذين عقدوا مؤتمرهم في الصومام سنة 1956 / ولماذا يشاع كما أشيع من يوم المجزرة أن البريكي هو السفاح / هل هي دعاية مقصودة تريد تشويه الرجل لأنه من الجنوب.../ وغير ذلك من الحماقات والسفاهات والسخافات التي لا تحتاج إلى تعليق، لأنها تماثل كلام جنون، إذا ما ادعى أن السماء تحتنا والأرض فوقنا وأن الشمس تشرق صباحا من الغرب وتغرب مساء من الشرق، ولا ريب أنه إذا ما حاول أحد أن يجيبه ويبرهن له على أن الواقع هو العكس.. سيعتبر بدوره مجنونا، وإليكم هذه التوضيحات والتعقيبات، بالوقوف على بعض المحطات من كلام مخربشنا "الملثم" صاحب الترهات. يقول عن الملازم (سي محمد معمر) الذي زار الجهة وطارد العميل (بلونيس) منها: إنه لم يعرف ولم يسمع بهذا (المحمود معمر) الذي زار الجهة ولا (الأبو داوود) هذا صاحب هذه الرسالة "المزعومة" ولا (تاسلانت) هذه، أقول عن تجاهله (لسي محمد) أنه يذكرني بحادثة تاريخية مما يتمثل فيما يلي: إنه لما حجّ (هشام بن عبد الملك) طاف بالبيت وحاول أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه ولم يقدر لكثرة الزحام، والحال أنه لم يكد ينظر إليه أحد من الطائفين، وفي هذه الأثناء وصل إلى المطاف (زين العابدين) حيث ما كاد يراه الناس هناك حتى فسحوا له المجال ليستلم الحجر، وهنا قال أحد المقربين (لهشام) من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فأجابه هشام لا أعرف من هذا؟ وكان الشاعر (الفرزدق) حاضرا، واندفع لينشد تلك القصيدة الرائعة... منها:

وليس قولك (مَن هذا) بضائره - العرب تعرف من أنكرت والعجم

وإلا فإن الضابط (محمود معمر) الذي يعتبر من النوفمبريين كان معروفا لدى الجميع، لدى المسبلين والمجاهدين والأهالي، ذُكرانا وإناثا، ونال ترقية إلى (ملازم) قبل مؤتمر الصومام لكفاءته، وكان مكلفا بعدة مهام منها الانتقال إلى الناحية 1, حيث قام بطرد فلول (بلونيس) من (بني يلمان) ما جعل (بلونيس) نفسه مع نائبه (رابح البرّاد) ومجموعة من جنوده يفرون بلباس نسوي من الجهة.. وهناك أسرَ مجموعة من جنود (بلونيس) كما سبق وأن أشرت. أما قول صاحبنا "الملثم" أن (بلونيس) لم يكن غبيا حتى يبقى في مشتى القصبة إلى أن يطوّق من طرف المجاهدين، أجل والقول في الموضوع هو ما قتله لكم سابقا. ... يتبع

■ **تفتح "الخبر الأسبوعي" لجميع القراء الأعزاء ركنا جديدا باسم "معارك فكرية" للنقاش والردود والسجالات الفكرية والسياسية والدينية والتاريخية وغيرها، وذلك من دون رقابة أو مقص، شريطة الإلتزام بأدب الحوار واحترام الرأي المخالف.**

معضلة (بني يلمان).. توضيحات وتعقيبات

قد بَدَت البَغضَاءُ مِن أفواهِهِم ومَا تخفي صُدورُهُم أكثر

كنت قد كتبت مقالا في جريدة (الخبر الأسبوعي) المحترمة في الآونة الأخيرة بعنوان: القول الفصل في معضلة (بني يلمان) كرد على هجمة شرسة استهدفني بها حاقد (بني يلمان). ونشر المقال في ثلاث حلقات أو في ثلاثة أجزاء، هو عبارة عن خلاصة لقضية (بني يلمان). حيث أحصيت في الموضوع كل شيء عددا، مع الإشارة إلى أن كل ما قلته حول القضية هو معروف من تاريخ الثورة بالضرورة في الجهة..

■ عبدالعزيز وعلي

(بلونيس) وجنوده في تلك الآونة كانوا لا يستطيعون أن يغادروا مشتى القصبة يكون الكثير منهم يقضون شهور العسل مع عرائسهم بالجهة، ومنهم كبيرهم الذي اقترن بفتاة في عمر حفيدته، والحال أنه متزوج منذ سنوات وسنوات في (برج منايل) وولد له منها أولاد. نعم ومن جملة تلك العرائس الفتاة التي وقفت في ذلك اليوم (57) تسب المجاهدين وتقذف بالحجارة جنود الباريكي قائلة لهم: (... اغربوا عن وجوهنا أيها الأنذال أيها القتلة المجرمون.. فأحقر جندي من جنود (بلونيس) هو أشرف وأفضل منكم ومن ثورتكم و..)، حيث اقترنت بدورها بأحد أولئك.. ولكن، لسنا ندري هل كان هذا الاقتران اقتران نكاح أم اقتران سفاح، أم كان رمزا للانسجام والانصهار واللاحم الروحي والجسماني بين أهل المشتى والعرسان المجرمين؟؟؟! ومهما يكن، فإن شككت في كل هذا، فادخل إلى قسمة المجاهدين في (ونوغة) أو ناحية المجاهدين في (سيدي عيسى) لتستفهم عن هذه القضايا كلها، فإن عندهم الخبر اليقين. ولكن، إنني متيقن من أنك لن تفعل. لأنك لا تستطيع أن ترى المجاهدين ولا أن تشم رائحتهم، لحقدك عليهم وعدائك لهم وغيرتك منهم، وكون قامتك ''القصيرة'' دون قاماتهم بكثير.. وشأنك في ذلك شأن تلك الدويبة المعروفة بـ''الجعل'' التي أغرمت بتكوير الأرواث وربع البقر إلى كريات صغيرة، ولكنها أكبر من حجمها بكثير كي تقوم بدحرجتها إلى حجرها لتخزنها وتعود إليها عند الحاجة. والشاهد في هذا هو أنها إذا شمت رائحة الورد، فإنها تهلك في الحين. وفي هذا يقول (ابن الوردي): (إن طيب الورد مؤذ بالجعل)، (وهو شطر بيت). أما بالنسبة للشيخ (أبو داود) وزاوية (تاسلانت)، فقد قال في الموضوع حاقدنا ''المقنع'': ''لا أعرف هذا (الأبو داوود) ولم أسمع بتاسلانت هذه أبدا''. وهنا، أكرر ما قلت آنفا (العرب تعرف من أنكرت والعجم). وإلا فإن الشيخ (أبو داوود) الثلاثة هم علماء أجلاء ودعاة مصلحون ومدرسون مخلصون ومجاهدون ميدانيون في ثورة التحرير. نعم، ويصدق فيهم قول المتنبي (الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والطعم والقرطاس والقلم)، مع تبديل كلمتي (السيف والطعن) بكلمتي (الرشاشة والزخات) لتتناسب مع الواقع. فأولهم هوالشيخ (طيب أبو داوود) عميد الزاوية استشهد في الميدان سنة 1956, والثاني هو الشيخ (عبد الرحمان أبو داوود) استشهد في الميدان بدوره سنة 1960 والسلاح في يده، والثالث وهو الشيخ (السعيد أبو داوود) فقد كلف بالتحول إلى تونس (57) من طرف القائد عميروش، ومثله في ذلك تكليف الشيخين (طاهر آيت علجت) و(محمد صالح الصديق) بالالتحاق بدورهما بتونس أين كلفوا بمهمات كثيرة في مختلف المجالات بصفوف الثورة هناك إلى أن توقف القتال سنة 1962. أما بالنسبة لزاوية (تاسلانت) التي لم يسمع بها (البني يلماني) المقنع، فهي زاوية معروفة على المستوى الوطني، تلكم القلعة القرآنية التي خدمت الدين والعلم والوطن طيلة قرون، والتي يفد إليها الطلبة من مختلف النواحي بالقطر. أجل، ومن جملة تلك النواحي (المسيلة) وضواحيها بصفة خاصة، حيث لا نجد أحدا يحفظ القرآن أو متمكن من علوم الفقه والنحو والقراءات قبل الثورة إلا وهو مار بهذه الزاوية أو زاوية (أولحضير) التي تتواجد على بضع مئات من الأمتار منها. ولأذكر لكم بعض النماذج من هؤلاء الطلبة الذي مروا من الجهة: الشيخ علي (الذريعي)، إمام مسجد ادريعات في الخمسينيات، والملازم المعروف (رابح الثائري)، قائد الناحية الأولى الذي أسر في معركة (أولاد سيدي اعمر) في جوان 58. فوقع له ما وقع (لأعراب) من التعذيب والانتقام قبل الإعدام، والملازم (جلول جعيجاع) من ثارمونت المتوفي منذ سنوات، والشيخ (اعمر لشطر) من السلاطنة، الذي التحق بصفوف الثورة في الصومام وأسر في الميدان سنة 1960 من طرف العدو بعدما جرح، ثم أصبح بعد إيقاف القتال سنة 1962 إماما لمسجد (اغزر امقران) ثم إماما لمسجد (تيزي وزو) بعد ذلك إلى أن تقاعد.

وإن بقي لك شك يا صاحبنا (العنيد المتعصب)، فاذهب إلى زاوية الهامل العظيمة واسأل شيوخنا المحترمين عن هذه الزاوية، ولا ريب أنهم سيقولون أن مؤسس زاويتهم العظيمة قد تخرّج من زاوية (تاسلانت)، ولا أكون قد بالغت إذا قلت إن الكثير من الأعراش في مختلف الجهات بالمسيلة كانوا يكنون الاحترام والتقدير والتعظيم لهذه الزاوية، ويتجلى ذلك في تقديم المساعدات المادية لها منذ العهود القديمة، مما يتمثل في زكوات الحبوب والأموال وغير ذلك... ولا أدل على ذلك من أنهم قد أخذوا ذلك الموقف المشرف في بعض ثمانينيات القرن الماضي على القيام بترميم هذه الزاوية التاريخية التي دمرها العدو أثناء الثورة بأموالهم الخاصة، قائلين لأسرة (أبي داوود) صاحبة الزاوية: لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا، ما عدا دعاء الخير لنا. وبالفعل، فقد بدأت شاحنات الرمال والإسمنت والحديد والآجر الإسمنتي وغير ذلك تنطلق من مختلف الجهات في المسيلة في اتجاه (تاسلانت)، حيث ما هي إلا أشهر حتى أنهوا بناء ذلك الصّرح الضخم المستطيل الذي يشمل المصلى وقاعة الدراسة، في انتظار أن يتموا مشروعهم الخيري في بناء المرافق الضرورية للزاوية، كإقامة الطلبة وسكنات الشيوخ وغير ذلك. ولكن العشرية السوداء حلّت وتوقف كل شيء..

إذهب إلى زاوية الهامل العظيمة واسأل شيوخنا المحترمين عن هذه الزاوية، ولا ريب أنهم سيقولون أن مؤسس زاويتهم العظيمة قد تخرّج من زاوية (تاسلانت)

ومن هذا المنطلق، كانت أسرة (أبي داوود) قد حاولت سنة 1956 إقناع (البني يلمانيين) على العودة إلى الصف وإلى جادة الصواب، لكن الإجابة كانت سلبية كما سبق وأن أشرت في مقالي السابق، مما يتمثل في تلك الرسالة (... والله يا شيخ، لو يخرج إلينا نبي من الشمال، ما آمنا به ولكفرنا برسالته..)!؟ أجل، هذه الرسالة المشهورة التي كانت فيما أظن موجودة في وثائق الزاوية ومكتبة أسرة (أبي داوود) الآن.

وهنا أيضا، افترى (الجعجع) عليّ كذبا، حيث زعم في خربشته الأخيرة أني قلت إن الولاية 3 أوفدت الشيخ (أبو داوود) إلى (بني يلمان) لـ... والحق أنني لم أقل هذا وإنما قلت: وفي هذه الأثناء، حاول الشيخ (أبو داوود) أن يتدخل في الموضوع بإرسال رسالة إلى ....) أي لم يكلفه ولم يوفده أحد (راجعوا الجزء الثاني من المقال لتتحققوا فيما قلت). حقا، إذا لم تستح فقل ما شئت واصنع ما شئت.

كما سبق وأن افترى على العقيد (محمدي السعيد) كذبا، حيث قال: إنني زرت العقيد في منزله (بالقبة) واستقبلني ولكنه ما كاد يسألني من أنا ويعلم أنني (من بني يلمان)، حتى ارتعدت فرائصه لعله تذكر خطأه في الموضوع، ثم تقهقر إلى الوراء حتى وصل الباب الخارجي للمنزل أين أخرجني إلى الشارع وأغلق الباب؟! يا للوقاحة!!؟ عملق نفسه وقف أمام (محمدي السعيد) الند للند!؟ وإلا فاسمعوا للمجاهد (سي محمد سعيد) الذي حضر الحادثة ما يقوله في الموضوع: فبينما نحن وقوف في ساحة الدار مع العقيد (محمدي السعيد)، إذ استأذن شخص للدخول.. فأذن له ودخل، فإذا هو رجل نحيل قصير القامة مقوس الساقين.. حيث ما كاد يعرّف بنفسه وبعرشه ويبدأ في التطاول، حتى أخذه العقيد بين ذراعيه المفتولين الغليظين كأنه ريشة ثم جرّه إلى الباب ورماه إلى الشاع ككيس نفايات قائلا له: اغرب عن وجهي يا...) ثم التفت إلينا، وهو غاضب، وقال: حقا، إن الأفعى لا تلد إلا الأفعى.

ثم إن هذا (المخلوق) كان كثيرا ما يقول في خربشاته: (أولئك القتلة المجرمون الذين قاموا بتلك المجزرة التي لم تستثن حتى معلم قرآن...)، حيث يحاولون جعل هذا الإمام واجهة إشهارية ونحن نقول: ما ذنب الثورة في إعدام هذا الشخص إذا كان خائنا وتلاوته لا تجاوز ترقوّته، كان ممن قال فيهم الراجز:

(وذاك (عاقل) لقوم كالداء وذا (إمام) مفتر للإرضاء)

وقال فيه الصحابي الجليل (أنس بن مالك): ''رُبّ تال للقرآن، والقرآن يلعنه''.

ثم نراه يعمد إلى صنع وخلق إشاعات في منزله ثم يرسي بها إلى الشارع، عارضا لها على السُراح، منها مثلا تساؤله حول (من قتل أعراب وهو في طريقه إلى تونس)؟!! تلك الإشاعة التي ظهرت حقيقتها في مقالي السابق، وها هو تراه في خربشته الأخيرة يتساءل أيضا حول من قتل البريكي واغتاله وصفاه جسديا؟! وهنا، أقول لا أجيب عن هذه التساؤلات الجعجيّات حتى أذكر لكم الحقيقة التالية، وهي أن الولايات المتحدة قد اتبعت منهجية تسييرية وجيهة عادت عليها بالخير والتحضر والتقدم العلمي في كل المجالات بما جعلها تتزعم العالم - اليوم - في الميدان العلمي والميدان الاقتصادي والميدان الصناعي والميدان التجاري وو.. والسبب في ذلك هو أنها لا تقيم الوزن للون الشخص ولا لجنسيته ولا لمظهره ولا لدينه، هل هو مسلم أم مسيحي أم يهودي وهندوسي ومجوسي.. وإنما تقيم الوزن لشيء واحد... هو الكفاءة، نعم الكفاءة وثم الكفاءة، حتي قالوا اليوم إن نصف الكفاءات والشهادات العلمية المؤثرة في العالم موجودة في أمريكا. ولا أدل على ذلك من أن مؤسسة (النازا) وما أدراك ما هي عيّن عليها مدير عربي مصري، وليس ذلك حبا في الأهرامات ولا في (أبو الهول)، ولكن حبا في تلك الكفاءة النادرة الممتازة التي يحملها الرجل. نعم، وهذه هي المنهجية التي اتبعت في الولاية 3 أثناء الثورة، حيث كانت بدورها تبحث عن الإطارات الكفأة لإسناد المسؤوليات لها، بغض النظر عن الجهة التي جاء منها، وهؤلاء الذين سأذكرهم هم بعض النماذج في الموضوع..

إن الولاية لا تغتال الأبطال الذين يلاحقون بترابها لضرب العدو في ربوعها، بل ترحب وتكرمهم وترقّيهم وتسند إليهم المسؤوليات وتجلّهم وتحترمهم

(البريكي عبد القادر) الذي جاء إلى الولاية 3 سنة 1956 قادما من الولاية 1. ولما اكتشفت عبقريته العسكرية في الميدان ومهارته في تسيير المعرك، أسندت له مسؤولية كبيرة ورقوه إلى ضابط سام، ونال تلك الترقيات عن جدارة واستحقاق، وعبّر عن كل ذلك بإقدامه وجرأته وشجاعته وإخلاصه في ساحات القتال، ثم كلف بأمر هام في 58 إلى تونس، ولدى عودته منها في أوائل جانفي 1960 استشهد في (الطارف) أثناء معركة طاحنة. ومثله كذلك (أبو بكر مسعودي) الذي قدم من بسكرة سنة 1956. ونظرا لكفاءته العسكرية والسياسية والتسييرية، نال ترقية إلى ضابط أول عضوا في قيادة المنطقة 2 من الولاية 3. ولو لم يؤسر من طرف العدو في مارس 59 في معركة (الرفراف) في (الحمراء) قرب مدينة (المنصورة)، لأمكن أن يصل إلى عضوية قيادة الولاية 3. وكذلك الشأن بالنسبة (لمحمد زرنوح) الذي أهدى إلى قيادة الولاية 3 في فيفري 1958 مركز (حوراة) العسكري، بما فيه من الأسلحة والذخيرة ومن فيه من الجنود الفرنسيين مع ضابطهم الملازم (ديبو)، حيث نال ترقية على الفور إلى ضابط أول، وكلف بمهمات كثيرة وقائد فيلق الولاية 3. أقول لو لم يستشهد في سنة 1960 لأمكن أن يصل إلى رائد عسكري وعضو في قيادة الولاية 3 مع الإشارة إلى أنه جلفاوي. وعلى ذكر هذا الجلفاوي، نذكر جلفاويا آخر ألا وهو (بايزيد جعال) الذي فرّ أواخر 1955 مع زميل له وهو (الحسين موسطاش) ومعهما كمية كبيرة من الأسلحة والذخيرة، قلت فرّا من ثكنة عسكرية (ببرج بوعريريج) ونالا ترقية عسكرية على الفور من طرف القائد (اعميروش) وعيّنا على رأسي فصيلتين في حوض الصومام. فبالنسبة (لجعال بايزيد)، كان ضمن تلك الفصائل التي قادها الضابط (سي محمود معمر) في جويلية 56 إلى (بني يلمان) أين طردوا (البلونيسيين) من المكان وأعادوا تكوين خلايا الثورة فيه. ولدى عودة فصيلته في أوائل (أوت) 56 إلى الصومام، كلفت فصيلته بالحراسة في المكان لضمان الأمن للمؤتمرين، ثم كان ضمن الكتيبة التي قادها البريكي إلى (بني يلمان) في (ماي 57). وهكذا، لو لم يستشهد في الميدان في أواخر 57 لأمكن أن يصل إلى عضوية قيادة الناحية أو المنطقة، ولكن شاء أن يسقط شهيدا في أواخر 57 كما ذكرت. وبهذا كله يعلم المخرب (الجعجع) بأن الولاية لا تغتال الأبطال الذين يلاحقون بترابها لضرب العدو في ربوعها، بل ترحب وتكرمهم وترقيهم وتسند إليهم المسؤوليات وتجلّهم وتحترمهم.

أما بالنسبة لتعاليقه وهرائه وحماقته حول بعض التعابير الواردة في مقالي مثل ''انشطار بعض الأنواع من الرصاصات عندما تصطدم بالهدف / وبندقية الله البريكي / وضباب جويلية / وسحابة صيف وغيرها بما لا يرقى إلى مستوى كلام العقلاء، فهو غير جدير بالرد عليه. وإلا، فإن صاحبنا (البني يلماني) إنما يستمد وجوده من اللاءات (جمع لا)، حيث إذا كان الفيلسوف الفرنسي المعروف يقول (أنا أفكر إذا أنا موجودٌ)، فإنه يقول: أنا لا أوافق أحدا يقول إن (البلونيسيين) قد لبسوا القشابيات في صفوف العدو ضد الثورة، إذا أنا موجود. أنا لا أصدق كون الثورة كانت شرعية، إذا أنا موجود. أنا لا أؤمن بكون المجاهدين هم االذين حرّروا البلاد، إذا أنا موجود. أنا لا أقبل أن يتكلم أحد غيري على بني يلمان، إذا أنا موجود.

هذا كله في الجمل المنفية، أما الجمل الموجبة، فهو يقول: أنا أكره المجاهدين والشهداء، إذا أنا موجود. أنا أكن عداءً لكل من يحاول أن يمجّد الثورة. إذا أنا موجود. أنا أعتبر مؤتمر أوت 1956في الصومام مؤتمرا للزرق. إذا أنا موجود. أنا.. إذا أنا موجود..

وأخيرا، أختم كلمتي بالتحدث عن ظاهرة غريبة لم أفهمها ولم يفهمها غيري كذلك؟!! وهي أن الأفعى إذا قتلت وبُتر ذنبها، فإن ذلك الذنب يبقى بعصبيته وعنف وقوة لأيام أو لأسابيع، رغم كون جسمها قد تحلل، وهذا بالضبط شأن صاحبنا (البني يلماني) الهائج الذي نشبهه بذنب أفعى قد قتلت منذ أكثر من نصف قرن، ولكن ذنبها مازال ينبض بعصبية وقوة إلى الآن حتى يلحقه بدوره التحلل. أما بالنسبة للأرقام التي ذكرتها في مقالي السابق مثل (86) ضحية و(243) حركي قادم من الضواحي الباريسية، فلصاحبنا الحق في التصرف في شأنها وهو حر في إضافة الأصفار إلى يمينها مثل (8600000000) وفصل عددين من الرقم ليصبح 2,43 حركي. ■

عبد العزيز وعلي

■ تفتح "الخبر الأسبوعي" لجميع القراء الأعزاء ركنا جديدا باسم "معارك فكرية" للنقاش والردود والسجالات الفكرية والسياسية والدينية والتاريخية وغيرها، وذلك من دون رقابة أو مقص، شريطة الإلتزام بأدب الحوار واحترام الرأي المخالف.

ذكـــرى

اليوم، 28 أفريل، تحل الذكرى الأولى لرحيل الإبن العزيز بوتويس إسماعيل. وبهذه المناسبة الأليمة تطلب عائلته من الشراقة بالعاصمة من كافة الأهل والأصدقاء وكل الذين عرفوا الفقيد الدعاء له بالرحمة والمغفرة، سائلين المولى عز وجل أن يتغمد روحه الطاهرة بواسع رحمته.

إنا لله وإنا إليه راجعون

رد

مصاصو دماء (بني يلمان) يتلذذون

كلّما أمد الله في عمر الإنسان رأى في هذه الحياة عجبا، والأكثر عجبا أن تجد شيوخا قد بلغوا من الكبر عتيا، ولكنهم لا يتورّعون عن الكذب الأسود وشهادة الزور، وأكل لحوم البشر أمواتا وأحياء، من غير أن يتقوا الله والنار التي هم وقودها، ولعنات الأجيال التي تبقى تلاحقهم ما بقيت قصصهم متداولة شفهيا وكتابيا، وخاصة وهم يدّعون الجهاد ويأكلون على ذلك أموال الشعب سحتا.

■ **بني يلمان: جعجاع عمران**

لنا في ذلك أسوأ نموذج وأقبح مثال على ذلك أحد المدعين المسمى (عبد العزيز وعلي) هذا الذي أذكر اسمه كاملا كما سماه أبوه ـ على ما أظن ـ لا حبّا فيه ولا احتراما له، لكن لأحذّر القراء ـ أكرمهم الله ـ من هذا الشيخ الهرم الأفاك وأمثاله.

لقد تجنب ذكر اسمي، كما تحفظ إبليس عن ذكر اسم آدم فقال: أنا خير منه...'' وكان ذلك إكراما لي عندما لم يلفظ اسمي، وحقده عني له ما يبرره، وكيف لا؟ وقد سفهت أحلامه وأبطلت أكاذيبه، ونثرت أوراقه على رأسه فتاتا، ويجد ما بناه على جرف قد انهار به.

لم يجد هذا (الوعلي) ما يردّ به على الحقائق الدامغة والحجة القاصمة التي أصابته بإسهال شديد تمثل في عبارات وألفاظ نتنة، لم يذكر اسمي ضمنها ـ وهذا ما أشكره عليه ـ وإن كنت أتحاشى الوقوع في زلاته، فلا يسعني إلا قول ما قاله الشافعي:

إذا سبّني نذل تزايدت رفعة
وما العيب إلا أن أكون مسابه
فلو لم تكن نفسي عليّ عزيزة
لهكّنتها من كل نذل تحاربه

إن ما أثار حفيظته عندما نشرت على صفحات جريدة ''الخبر الأسبوعي'' خمسة أجزاء أو حلقات وثائقية عن واقع دوار بني يلمان الذبيح في ماي 1957 أثناء الثورة، وعن المجزرة التي راح ضحيتها أكثر من 300 إنسان بريء على يد مليشيات الزرق التي دسّها الاستدمار في صفوف الثوار في الولاية الثالثة التي تشمل بلاد القبائل وتمتد جنوبا حتى المسيلة، والتي من ضمن جنودها (وعلي)، وقلت ومازلت أقول منذ 30سنة، أن من جملة مكائد الاستدمار أنه كان يصرح بأن القبائل يذبحون العرب، لكن هذا المفتري يدعي أني القائل ويتهمني بالجهوية، ولكنه (أي الوعلي) ما كان يحق له أن يتكلم ناطقا باسم القبائل، لأن الظلم الذي نزل بمستضعفيهم لازال قائما، ذنبهم أنهم كانوا ينتسبون إلى الحركة الوطنية الجهادية، وهم إلى اليوم يعانون المهانة، والذل على يد أمثال هذا من أبطال اللّعب الكارتونية.

وبما أنه لم يرتدع، وأنه مصر على اختلاق قصص جديدة مستخرجة من رواسب خياله، وقد تعوّد الجلوس في صدر المجالس يقص الحكايات والناس تسمع وتهز رؤوسها، وهم في حاجة إلى شهادته وتوقيعه على الاستمارة الجهادية، وهو في حاجة إلى الغلاف الذي يسلم له حسب التصنيف، هذا يعطيه مفاتيح الجنة ليدخل أباه، وذاك فدائي يقتحم المراكز الفرنسية وذاك مسبل، وقد غفر لهم ما تقدّم من ذنبهم، أليس هو القائل: أنه أحصى كل شيء عددا.

لقد اتهمني بالعنصرية والجهوية، وهو ينطلق من مربطها ويضرب بحافرها ولا يتغذى إلا من شوكها.

قلت له حدّثنا عن (الزرق) وهو منهم أو القريب منهم، خدمة للتاريخ، حدثنا عن المجازر الفظيعة التي ارتكبت في هذه الولاية والتي أبيدت فيها قرى ومداشر عن بكرة أبيها، ما دفع أولئك المواطنين الأحرار ـ الذين كانوا يتوقدون جهادا ووطنية قبل أن تخلق جبهة... بسنوات طويلة ـ إلى أحضان الثكنات الفرنسية وحمل السلاح لحماية النفس أو رغبة في الثأر.

نحن بني يلمان من استمع للعنصريين وهم يكتبون في الجرائد والكتب والإذاعات، ويودّعون ما اجتمعوا عليهم أباطيل وأضاليل وإيداعها كوثائق في مقرات منظمة (المجاهدين) وكلهم كانوا ينطلقون من منطلق جهوي، وما هذا (الوعلي) إلا ذيل أبتر لحيوان شرس، فقد قاومنا أنيابه ومخالبه فكيف بشطر ذيله.. أو بالديدان المتساقطة من لعابه، والتي راحت تزحف وتتسلق شجرة التاريخ متخذة من لعابه مادة لزجة تساعدها على الالتصاق وبث السموم، سمّوهم مؤرخين.

منظر عام لمدينة ملوزة

وعلى ذكر التزوير والمزورين أذكر هذه الطرفة، وقد بدأ الناس في الزحف على اقتناء شهادات الجهاد، والشهادة سلفة أي حكّة بحكّة.. وبدأ كل يغني ببطولته إذا لم يجد من يعرفه، وهذا يصدّق هذا، كنا في ثكنة جنودا عام 1965, وكان كل أعضاء الكتيبة مجتمعين في قاعة واسعة، وكان كل واحد يدّعي أنه مجاهد ونحن خليط من مختلف جهات الوطن، كان يحكي كل واحد بما في نفسه، حتى نطق فرحات وهو من جيجل فقال اسمعوا:

في أيام الثورة هاجم المجاهدون دوّارا يسمي ''ملوزة'' ـ والمقصود بني يلمان ـ وكانت ملوزة هذه كلّ رجالها حركى ونساؤهم دفاع ذاتي، فجردوا الرجال والنساء من السلاح، وأمروا النساء بالذهاب إلى بيوتهم. ونفذوا الإعدام في 300 رجل.

قلت له: أين يوجد هذا الدوار؟

قال إنه على ما أظن في جهة سطيف. قلت له لقد أخطأت مسافة (200كلم) جغرافيا، ثم هل سمع أحد منكم أن نساء حملن السلاح في الدفاع الذاتي؟ ثم كيف يسلم هؤلاء، نساء ورجالا، سلاحهم من غير مقاومة؟ وهل وجد حركى ودفاع ذاتي من غير وجود ثكنة عسكرية فرنسية؟ فضحك الجميع وضحك على نفسه معهم.

و(الوعلي) هذا وأمثاله في الولاية قالوا مثل هذا وأكثر من هذا بكل غباء وحماقة، اسمع إلى هذه الفرية من افتراءته، قال إن فتاة من أهل بني يلمان سبِّت (السحنوني) الخيالي ـ قائد جيشه للتحرير ـ كما يتوهّم، وفضلت أدنى جندي من جنود بلونيس عليه وعلى رجاله، وذلك قبل أن يبدأ في ارتكاب القتل الجماعي ـ معنى هذا أن هذا كان حاضرا في ارتكاب المجزرة شخصيا ـ ويضيف الكاتب الكاذب أن هذه الفتاة أضحت زوجة وخليلة لبلونيس، وليس بلونيس وحده يتمتع في بني يلمان بل جنوده كذلك، لقد وجد كل هذه المعلومات في قسمة ونوغة وناحية المجاهدين في سيدي عيسى. هذه المؤسسات السياحية يا سي (وعلي) فقد سلمت للمجاهدين من مخامر وفنادق ودور... ومسابح جزاء جهادهم، وعودتهم من المعارك بعد الاستقلال، وكل هذه المؤسسات توجد على الشاطئ الذهبي على قمة جبل خراط، حيث أرست ''سفينة لطوس'' التي جاءت بالقنابل الانشطارية هدية من فرنسا إلى بلونيس، هذا الجبل رمز شموخ بني يلمان، تعالى والق بنفسك من على قمته كما فعل أحد أجدادك الذي جاء يحمل الصّليب يوما على صدره ـ قبل قرن ـ داعية للمسيحية ومعلما للغة الفرنسية، فانتظر سنة لعل أحدا يأتي لتسجيل ولده في مدرسته أو يجد من يجالسه، حتى يئس، فصعد إلى قمة الجبل وألقى بنفسه، وإن فعلتها أنت فإني أتعهد لك أن بني يلمان سيذبحون كل عام خنزيرا ويوزعون لحمه على الكلاب.

حتى الرعاة الذين كانوا يقدمون لهم كسرتهم شفقة لم يشوا بهم رغم أنها كانت أمنيتهم. أما الاختلاط بالجمهور فذاك هو الخطر على الحياة، لعلك كتبت في مذكراتك أنك كنت الآخر من كتاب عميروش وما أكثرهم هذه الأيام، أما أنا، العبد الضعيف، فلا أصدق كلمة مما قلت وتقول، بل أشك حتى إن كان الإسم اسمك والصورة صورتك. رغم أنك من أحصى كل شيء عددا..

أما سيدك محمد بلونيس المجاهد بحق كما رأيناه وعرفناه والذي سقط شهيدا ـ والله أعلم به ـ فله زوجة فاضلة اسمها زينب، وشبلين أحدهما يسمى (مؤمن) والآخر (حسام)، لعلك عرفت شخصيته من خلال تسمية أبنائه، ولا ندري إن عاود الزواج، فالوعلي أدرى بذلك، أليس هو القائل أنه أحصى كل شيء عددا.

وللقراء الكرام لهذه الجريدة المحترمة نقول إن مشتى القصبة ليست ذات دُور أو قصور، إنما هي عبارة عن بيوت حجرية بسيطة جدا لا يتجاوز عدد بيوتها العشرين ويطلق عليها اسم (المدينة) لأن ضاحيتها مقبرة منذ قرون طويلة تيمنا بالمدينة المنورة وبقيعها.

ولم يدخلها بلونيس ـ على ما أذكر ـ إلا يوم أن بعث بجنوده لاعتراض القوات الفرنسية في سهل بوخدى، وظل هناك بين صخورها يراقب المعركة بمنظاره. راجع الوثيقة التسلسلية على هذه الجريدة ـ إن شئت ـ من العدد 557 إلى 562 تجد قصة بني يلمان كافية.

وليست القصبة هذه التي تخيل واعلي أن بلونيس خرج منها بلباس نسوي مع مساعديه ليمر على الحواجز التي أقامها ضابطه ''محمود''، ولم يخبرنا إن كانوا خرجوا بالحايك والعجار أو بالحجاب والنقاب، وكل ذلك لم يكن له وجود، ولعله متأثر بفيلم معركة الجزائر العاصمة.

ولعل الشيء الذي يشعرنا بالخجل يوم أن جاء إلى بني يلمان ضيوف من عام 1989 وتوجهوا مباشرة إلى مدفن شهداء بني يلمان في القصبة، ومن غير أن يعلم أهل الدوار بحضورهم ومن غير أن يرافقهم أحد من أهل البلد، فوقفوا على المكان وقرأوا الفاتحة، ولكن سفهاء جبهة التحرير أوحوا إلى غلمانهم المراهقين أن يعترضوهم ويرجموهم بالحجارة، فكان أن انشق زجاج سيارة قبل أن يتدخل العقلاء، وقد اعتذرنا لهم، لأننا قوم نكرم الضيف ونأوي الغريب، وليس كما صور (الوعلي) أنهم الملائكة نزلت من السماء وأحاطت بهؤلاء الضيوف، وأنهم أولياء الله الصالحين هم من تمثلوا في شكل راجمين وأنهم الطير الأبابيل، وأنهم فتكوا بضيوفهم فتكا وشتتوهم في كل مكان، والواقع أن هؤلاء الضيوف ليسوا بأفضل من رسول الله (ص) يوم أن ذهب إلى الطائف فحرّض السفهاء غلمانهم العبيد لرجم الرسول حتى نزفت ساقه الشريفة، والوعلى أطلق اسم الغلمان على من رجموا ضيوفهم ومن قطعوا المسافات ليترحموا على آبائهم، الذين يلعنهم هذا الأفاك.

تعجّب كيف لا أنشر صورتي على صفحة الجريدة ووصفني بأوصاف متنوعة، المرأة المحجبة والمقنع، وقال عني أنني ذاك الجعل الذي يجمع الأزبال الحيوانية حتى تصير أكبر منه أثناء تكويرها، وهذه حقيقة، فأنا لا همّ لي إلا جمع ما يكتبه وعلي وأمثاله من فضلات لأعيدها لهم في شكل وجبات غذائية.

ها نحن نعرف صورتك ممتلئ الوجه، ضخم البطن، عريض الإليتين، منفوخ الشدقين، لحم وشحم مكنز نبت من سحت، مأواه النار وبئس القرار.

وما زادك هيبة ووقارا تلك القبة الروسية التي تعني أن صاحبها مجاهد شيوعي، أو تلك الصورة الأخرى وأنت تبدو أحمر كالعجل وليس مثلي كالجعل.

أما أنا فكما وصفتني تماما فأنا هزيل الجسم شاحب الوجه مقوس الساقين، نفخ عني محمدي السعيد فألقي بي في الشارع، ألم تقل أنه القى بي ككيس من القمامة. كل هذا لا يهم لو صدقت القول لتنجي نفسك من عذاب الله.

وما أحوجنا لو حدثنا هذا عن المعارك التي خاضها ضد الفرنسيين ومواقعها والجراح التي يحملها جسمه أوسمة، ولكنه لتواضعه ترك كل ذلك مسجلا للأجيال، فمنظمة المجاهدين تجمع قناطير مقنطرة من وثائق هذا وأمثاله، ألم يقل لي اذهب إلى قسمة المجاهدين تجد فيها الخبر اليقين؟

لكن الرجل تحاشى الكلام عن قريته وأهله وجهته وراح يحشر أنفه في كل جحر. هل سجد هذا بصدق يوم أن نزل بجبل لمحزّم، شرق سيدي عيسى عام 59, هاربا من عملية التطهير التي شملت الزرق على يد الشهيد عميروش ـ رفقة ثلاثة من زملائه ـ هل سجل أنه كان يبحث عن شخص يقدمه إلى الثكنة الفرنسية من غير أن يلحقه أذى، أي يضمن له حياته.

حتى الرعاة الذين كانوا يقدمون لهم كسرتهم شفقة لم يشوا بهم رغم أنها كانت أمنيتهم. أما الاختلاط بالجمهور فذاك هو الخطر على الحياة، لعلك كتبت في مذكراتك أنك كنت الآخر من كتاب عميروش وما أكثرهم هذه الأيام، أما أنا، العبد الضعيف، فلا أصدق كلمة مما قلت وتقول، بل أشك حتى إن كان الإسم اسمك والصورة صورتك. رغم أنك من أحصى كل شيء عددا. ■

■ **تفتح "الخبر الأسبوعي" لجميع القراء الأعزاء ركنا جديدا باسم "معارك فكرية" للنقاش والردود والسجالات الفكرية والسياسية والدينية والتاريخية وغيرها، وذلك من دون رقابة أو مقص، شريطة الإلتزام بأدب الحوار واحترام الرأي المخالف.**

القول المبين فيما قاله وعلي من أباطيل

"كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا"

أطلعتنا جريدة "الخبر الأسبوعي" الموقرة في العدد 582 المؤرخ من 21 إلى 27 أفريل 2010 في الصفحة المعنونة بـ(معارك فكرية) بمقال للمدعو (عبد العزيز وعلي)، حيث راح يرد على ما كتبه الأستاذ الفاضل (جعجاع عمران) في نفس الصفحة من نفس الجريدة، وقد عنون وعلي مقاله بـ(معضلة بني يلمان.. توضيحات وتعقيبات، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكثر)، وراح يصول ويجول معفرا وجه منطقة كاملة في الوحل والتراب، ظانا أنه يقدم الحق والصواب.

الشيء الذي حزَّ في النفوس هو الأكاذيب التي أطلقتها في مقالك، وهي على الترتيب:

ـ قصة الفتاة التي ذكرت بأنها صرخت في وجه جيش التحرير، وقامت بسببه والتهجم على الثورة والثوار، وقلت بأنها كانت قرينة لبن لونيس.

فأنا أسألك عن اسمها ولقبها واسم والدها، فبني يلمان لا يتركون بناتهم تصول وتجول وتخترق صفوف الرجال. ولو سلمنا جدلا أن مجموعة من الرجال سبوا جيش التحرير كما تزعم، فهل يبرر ذلك الجريمة المرتكبة ضد أزيد من 300 مواطن بريء؟! هل يعقل ياسيد وعلي أن تباد أمة من الناس لأن امرأة ضعيفة سبت جيشا أو جماعة، ولو كان هؤلاء الذين شتموا من الصحابة ما كان يليق بهم ذلك أبدا؟

ـ القذف للعفيفات دون بيّنة: (ولكن، لسنا ندري هل كان هذا الاقتران اقتران نكاح أم اقتران سفاح؟). إن قذف المحصنات من أكبر الكبائر، كيف سوّلت لك نفسك أن تكتب هذه الكلمات الخطيرة في حق نساء عفيفات طاهرات؟ هل اكتملت عندك البيّنة بالشهود العدول الذين عاينوا الفاحشة بأم أعينهم؟

ـ أما بالسبة للشيخ أبو داوود، فأقول بأن بني يلمان يقدّرون الزاوية وشيخها الفاضل، ويقدّرون كل من علَّم فيها. وقد درس بعض أهالي بني يلمان هناك، ومنهم الأئمة الذين أعدموا في المجزرة (قطوش، وعلي عليليش، وديقش...) الذين جعلتهم خوارج في مقالك، ورحت تحشر أقوال الأئمة الهداة في خزعبلاتك، مستهزئا بمعلم القرآن لتبرر جريمة المجرم. إن أولئك الأئمة الذين درسوا في زاوية الشيخ بن داوود كانوا يجمعون التبرعات لجيش التحرير، وقد جمعوا في الجامع الأعظم بالقصبة مالا كثيرا وقدموه للسيدين الشهيدين سي ناصر وسي البشير، رحمة الله عليهما، عندما قدما إلى القصبة، وقد أبلغا زورا من بعض المغرضين الحاقدين على بني يلمان بأن بني يلمان قد سبوا جيش التحرير قبل قدومهما، وعند قدومهما، لقيا ترحابا شديدا، ولم يذكرا ما سمع من الحاقدين بل طلبوا الإعانة، فتقدم السيد بلعباس، رحمه الله، وقدم مبلغا تعجز عنه مجموعة من الأعراش مجتمعة، ثم أرسل إلى الناس فأقبلوا وهم يقدمون ما حضر في أيديهم، وقد ناشد الكثير منهم السيدان بأن يجندوهم حالا من أجل نصرة الثورة والمجاهدين، وحينها، قال السيد البشير: علمت لماذا يحقدون عليكم، يحقدون عليكم لكرمكم الزائد وشجاعتكم الفذة؟ إن لم تصدق هذه القصة، فتعال إلى ولاية المسيلة واسأل المنصفين عن كرم بني يلمان، فو الله الذي لا إله إلا هو إنه للحق والصدق، فقد استطاع أهالي بني يلمان أن يبنوا مسجدا من أعظم المساجد في الجزائر قاطبة في أقصر الآجال، وهم قبلة لكل مسكين وفقير. واسأل نور الدين آيت حمودة، ابن الشهيد عميروش، كيف استقبله اليلمانيون عندما زارهم في السنوات الأخيرة، وماذا وجد في هؤلاء الناس فهو حي يرزق، إسأله وهو سيجيبك، وإني أحسبه من الشرفاء المنصفين..

فنحن، ياسيد وعلي، نقدّر العلم ونقدّر العلماء، وزاوية الهامل أنصف شيخها في مرحلة من المراحل الماضية أحد شيوخ بني يلمان، وقصيدته شاهدة على ذلك. لقد امتدح هذا اليلماني الشيخ محمد بن بلقاسم وأشاد بكرمه الزائد وعلمه الرائد، وقد أوصلنا نسخة منها للشيخ المأمون، فاذهب إليه واسأله فستجد الجواب والحق الذي عن ذهنك غاب.

واعلم أن الشيخ محمد بن بلقاسم درس في طولقة في الزاوية العثمانية، ثم درس عند الشيخ المختار بأولاد جلال بسكرة، ثم أسس زاويته بعد رجوعه من فليتتة ببلاد القبائل الشرفاء، وشيخ زاوية طولقة له بيت في قصبة بني يلمان ما زالت أطلالها قائمة إلى يومنا هذا، تسمى (دار الشيخ)، وقد توارثها أبناء الشيخ علي بن عمر جيلا بعد جيل، وآخرهم الشيخ (سيدي الحاج) رحمه الله، والد شيخ الزاوية الحالي السيد الكريم والشيخ الفاضل عثماني عبد القادر حفظه الله، وإن أحفاد علي بن عمر مازالوا يعيشون عند بني عمومتهم بني يلمان إلى يومنا هذا، فاذهب عنده ياسيد وعلي واسأله، فسوف تجد الجواب والحق الذي عن ذهنك قد غاب، عساك تتوب وتعود إلى جادة الصواب، قبل أن توسد في التراب، ولن تنفعك لا قسمة ولا أي شيء من هذا السراب.

أطفال من بني يلمان ضحايا مجزرة رهيبة

أيعقل أن يقتل المسلم في المسجد والزاوية والبيوت الآمنة؟ وتبقر البطون وتقطع الأعضاء التي أمر الله بسترها مهما كان الجرم؟ ففعل القتل الذي تعرض له أهالي بني يلمان لا يبرر أبدا، وسيبقى لعنة تطارد كل من زكاه أو رضيه وبرره، أو مدح من ادعى أنه أمر به. لقد قَرَأْتَ في الكثير من المقالات كيف جمع أهالي بني يلمان باسم الجهاد والأمان، وإن الناس قد لبوا النداء راضين فرحين لا مضطرين ولا كارهين، يريدون نصر الثورة والمجاهدين، ففوجئوا بالذبح والتنكيل دون مبرر، لم يُلق عليهم خطاب، ولم تنصب محكمة للمحاكمة، ولم تقدم تهمة على جرم اقترف. ولو كان بنو يلمان مع بن لونيس، كما تدّعي وغيرك، لكانوا مسلحين وما كان للمجزرة أن تقع، وإنما ستكون هناك معركة، والقتل يقع أكثر ما يقع على المُهاجِم لأن المُهاجَم متحصن في قلعته، فضلا أن يكون هؤلاء مدعمين من فرنسا، فأنى لأي كان أن يتجرأ ويهاجم ثكنة المستعمر، ومن حاول، فهو رجل باع نفسه لله يريد مرضاته، لا مطمع له في دنيا زائلة ولا شهادة دنيوية بالية. وحينها، ستكون معركة أيضا، ولن يلحق الأهالي الذبح والحرق بالنار وتقطيع الأحشاء وتهشيم العظام، كما حصل في مجزرة بني يلمان الرهيبة. لِمَ، ياسيد وعلي، لم تهاجم هذه الفلول مركز الدفاع المدني الذي أنشأه فراح بأولاد ثائر، وقد كان قلعة فرنسية يرفع فوقه العلم الفرنسي، ويهاجم أهالي بني يلمان العزل من كل سلاح، إلا سلاح الإيمان وحب الجهاد والجزائر؟

ـ قلت بأن الشيخ بن داوود أرسل رسالة إلى أهالي بني يلمان ليعودوا إلى جادة الصواب.. فأنا أسألك: لماذا لم ترسل هذه الرسالة إلى فراح الذي شيد مركزا للدفاع المدني وأعلن الحرب على الثورة؟ أم أن مركز فراح يخدم الثورة ويرعى أمن المجاهدين؟ إن المتأمل للأحداث يصاب بالدهشة عندما يعلم أن أهالي بني يلمان العزل أبيدوا، وأن مركزا للدفاع المدني في ناحية ليست بالبعيدة عنهم لم تطلق عليه ولا رصاصة واحدة! وهذه الرسالة، مع من أرسلها الشيخ؟ أجبني بالله عليك، أذكر لنا اسم الشخص الذي حمل الرسالة إلى أهالي بني يلمان، وأتمنى أن تعجل بذكر اسمه وسوف نسجل شهادته فور معرفته، أم هي الادّعاءات الكاذبة التي مازالت تنسج إلى يومنا هذا على بني يلمان من جهات كذبت وكذبت وصدقت كذبها وصدقها بعض السذج، وها هو أمرها قد بدأ يفتضح، وسيأتي وقت تحاول أن تصدق، ولكن لن تجد من يصدقها.

ـ دعواك أن الصور التي نشرتها جريدة الخبر كوثائق على المجزرة الرهيبة مع ما كتبه السيد جعجاع بأنها صور أحداث 8 ماي 1945 دعوى باطلة، فالصور فعلا لمجزرة 28 ماي 1957 وهي ملتقطة من فيديو للمجزرة بثه موقع INA FR الفرنسي، ما عليك إلا أن تذهب إلى مقر جريدة الخبر وستجد هناك قرصا يبرهن على هذا الذي قلت، وحينها، أدعوك إلى أن تعترف بخبطك ولغطك.

قتل الرحل والضيوف واثني عشرة جنديا من الذين رفضوا القتل لأنهم خرجوا لغير ذلك، فوجدوا أنفسهم بين أناس لا يرحمون، وقد دفنوا في المقابر الجماعية التي مازالت تشهد على ذلك إلى يومنا هذا.. والقائمة طويلة

وقد قتل في هذه المجزرة المشئومة رجال أفذاذ أمثال :

* الحاج أسعيد بن أهلال الذي وقف في وجه قونبيط وقال له: (لن ينضم إلى صفوفكم أي يلماني، ولن تبنى ثكنة للعار على أرض بني يلمان الطاهرة، إلا على جثثنا وأشلائنا...)، وكان هذا التحدي في شهر يناير سنة 1957. فقال قونبيط للحاج أسعيد وكبار العرش بالحرف الواحد: (ستندمون وتدفعون الثمن غاليا). وكان الثمن المجزرة الرهيبة التي كان قونبيط يعاين أحداثها عن قرب.
* وكذلك الرجل الفاضل أحمد بن الغربي الذي عرف عنه التدين والاستقامة العفة والأمانة وحب الجهاد والمجاهدين.
* ستة من الذين أطلقت السلطات الفرنسية سراحهم قبيل المجزرة ليقتلوا شر قتلة، وهم من قضوا سنة سجنا، وقد كان الحكم المسطر ضدهم عند اعتقالهم هو الإعدام، ولكن فرنسا أرجأت ذلك ليوم المجزرة الرهيب.
* وقتل رجل من العظماء عرف بوطنيته ورساليته، وقد تنبأ بالاستقلال في الكثير من قصائده التي طارت شرقا وغربا، حيث قال وهو يتهكم بفرنسا ويستهزئ بقوتها وجبروتها ما نصه :

في بوخدي ما يصير وما يطره
الدخـــان يثور والغبـــار معـــاه
ضرب (الكانو) في السماء والطيارة
وضربه كاسح ما يخلّفش من جاه
يا رياس فرانسا راكـــم عـــرّة
وهاذ القوة غير خسارة عنكم لاه
أبّابير تجيب عسكـــر بالكثـــرة
وجبل كحيل معمره زيان اسماه
إلى أن قال:
الجزائر ويكته ترجع حـــرّة
وعيد الأمة جاء مقرب يا حسراه
بالنجمة وهلال وحنا في زغرة
ذاك العيد الزين فالخاطر محلاه
رانا نستناو فالساعة تفـــــره
واللّي مـات يموت متهني موراه

أيعقل أن يقتل مثل هذا ويذبح وهو يشع بكل هذه الوطنية المتوقدة؟

* وقتل عيسى بن يحيى المجنون الذي رفع عنه التكليف شرعا لفقدانه الأهلية، قتل هذا الرجل ذبحا وهو يصرخ: ويلكم من الله..
* وقتل أمحمد المدعو لبجاوي، ذلك الرجل الذي جهز المجاهدين وحده في منطقة بلكط وضواحيها، والمجاهدون هناك يشهدون ببطولته ووطنيته، فاذهب واسألهم فسوف تجد الجواب كاملا، كما أنه كان من المنخرطين في جمعية العلماء، وقد وقف في وجه البدع التي كانت منتشرة في منطقته حتى لقبوه العقبي نسبة للإمام الجليل الطيب العقبي رحمه الله..
* كما قتل الرحل والضيوف واثني عشرة جنديا من الذين رفضوا القتل لأنهم خرجوا لغير ذلك، فوجدوا أنفسهم بين أناس لا يرحمون، وقد دفنوا في المقابر الجماعية التي مازالت تشهد على ذلك إلى يومنا هذا.. والقائمة طويلة.

ياسيد وعلي، إن النبي لما فتح مكة ودخلها وقد حاول جمع من المشركين أن يمنعوه وقد قاوموه وقتل منهم من قتل وهرب من هرب، ولما توغل جيشه الفاتح إلى داخل مكة، أمنَّ المشركين المحاربين الذي تجاوزوا معه كل عرف وخلق وشيمة، وقال لهم: (من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل بيته وأغلق بابه فهو آمن). فقد أمنهم وهم مشركون محاربون، وأعطى حرمة للمسجد وللبيوت ولأعيان القوم، أين هذا في غزو بني يلمان المسلمين الذين أدخلوا البيوت والمساجد وأعمل فيهم القتل بأمان الله ورسوله؟ ما كان لمسلم أن يقتل مسلما في المسجد أو في بيته أو في دور العلم، ومن يفعل هذا، فهو مجرم بعيد عن الله، فضلا أن يكون من جنود الله كما قلت فيما مضى من مقالاتك.

ولعلي أطلت في الرد على ما كتبت من بهتان وزور، وما كنت أنوي أن أكتب في هذا الموضوع أبدا، راجيا أن يستيقظ الضمير في من بقي من الشرفاء وينصف بني يلمان وأهلها. ولكنني فوجئت بهجومك غير المبرر، ونقلك لأقوال أهل الكذب والزيف، وإشادتك بالظالمين، وقذفك للأبرياء المخلصين، ورميك للمحصنات بالفعل المشين، والادّعاء الكاذب بأننا نريد تفريق البلاد، وزرع العداوة بين العباد، ومحاولتك أن تشعل فتيل العداوة من جديد بيننا وبين أشقائنا وإخواننا من ملوزة (عرش أولاد جلال) وتباكيك كالتمساح تبدي النصيحة وتخفي زرع بذور الشقاق بين الجيران والأصهار والخلان.

ياسيد وعلي، أتريد أن تشعل نارا بيننا وبين جيراننا وأنت تدّعي الجهاد والوطنية والتدين والنصح للأمة؟ ذعرت من كلمة عرب وبربر، وأعجبت بفكرة ذلك اليهودي الذي لم يعجبه التآلف الذي حصل بين الأوس والخزرج، فهمَّ بذكر ما كان بينهم من قتال في الجاهلية، ولولا أن وجد الرسول الكريم، لكانت حرب طاحنة بين الإخوة الذين ألف الإسلام بين قلوبهم.

وأنا وكل شرفاء بني يلمان وشرفاء ملوزة نقول لك: هيهات هيهات أن تؤثر فينا، فقد تآلفنا وتصافينا، وإلى خطاب ربنا اهتدينا (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا).

توقيع مجموعة من طيور بني يلمان الأبابيل

■ **تفتح "الخبر الأسبوعي" لجميع القراء الأعزاء ركنا جديدا باسم "معارك فكرية" للنقاش والردود والسجالات الفكرية والسياسية والدينية والتاريخية وغيرها، وذلك من دون رقابة أو مقص، شريطة الإلتزام بأدب الحوار واحترام الرأي المخالف.**